كتاب

حسن التوسل

الى صناعة الترسل تأليف الامام
الفاضل جامع اشتات الفضائل شهاب الدين ابي
الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي
صاحب ديوان الانشاء بدمشق
المتوفى سنة ٧٢٥
تغمده الله
بغفرانه
آمين

على ذمة ملتزمه جناب الخواجه يوسف شيت
وكيل الجرائد العربية بمصر

طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨ هجريه

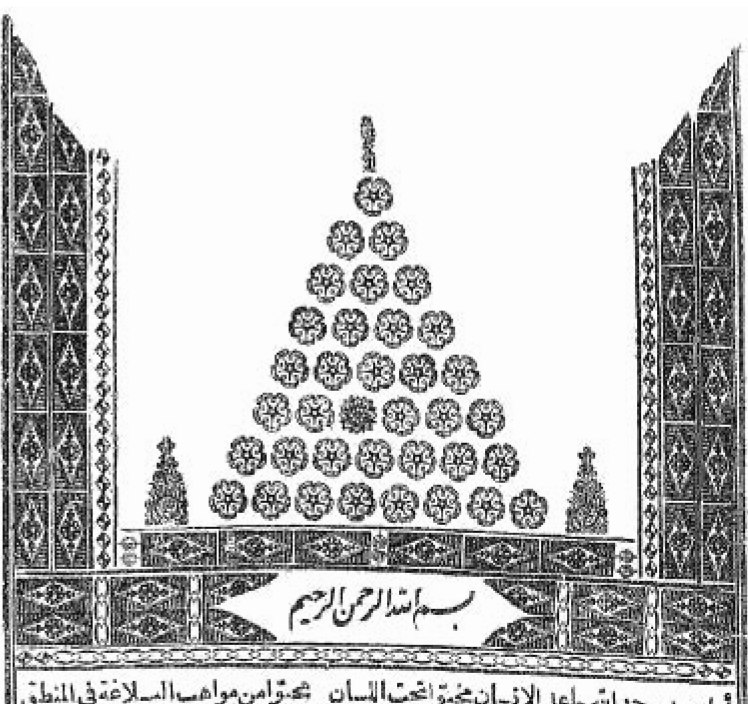
كتاب

حسن التوسل

الى صناعة الترسل تأليف الامام
الفاضل جامع اشتات الفضائل شهاب الدين ابى
الثنا محمود بن سليمان الحلبى الحنفى
صاحب ديوان الانشا بدمشق
المتوفى سنة ٧٢٥
تغمده الله
بغفرانه
آمين

على ذمة ملتزمه جناب الخواجه يوسف شيت
وكيل الجرائد العربية بمصر

طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله جاعل الانسان مخبوا تحت اللسان محبوا من مواهب البلاغة في المنطق بالمراتب الحسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص من معجز القرآن باوضح برهان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان فانه لما جعل الله لي في كتابة الانشاء رزقا باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من اجله من اكابر اهلها وأئمتها من عاشرت ورأيت من مذاهبهم في أساليبها ما رأيت ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت واطلعت فيها بكثرة المباشرة على طرائق وألجئت فيها باختلاف الوقائع الى مضائق أي مضائق ونشأ لي من الولد وولد الولد من عاناها ورشح لها من بني من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلي بمعناها فأحببت أن أضع لهم ولمن رغب في ذلك في هذه الاوراق من فصولها قواعد وأقيم لهم فيها على ما لا يسع الجهل به من اصولها أو فروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من ابوابها ويعلوا من طرقها ما هو الاخص بأوضاعها والاولى بها ﴿وسميته حسن التوسل الى صناعة الترسل﴾ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فأول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ومداومة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا في فكره دائرا على لسانه ممثلا في قلبه ذاكرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عليها وكفى بذلك معينا له في قصده ومغنيا له عن غيره قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقد اخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع ...ر كل لفظ ومعنى عنه وعجز الانس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ومن ذلك أن ساءلا

قال لبعض العلماء أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم الجار قبل الدار قال في قوله تعالى وضرب
الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فطلبت الجار قبل
الدار ونظائر ذلك كثيرة وأين قول العرب القتل أنفى للقتل لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى
من قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحل
عن لفظه ولم يغير معناه فمن ذلك ما روي في عهد أبي بكر رضي الله عنه هذا ما عهد أبو بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة اني استخلفت عليكم
عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك ظني به وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت بكم
ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وروي ان عليا
رضي الله عنه قال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية وما كنت متخذ المضلين عضدا
وكتب في آخر كتاب الى معاوية وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك وما هي من
الظالمين ببعيد وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى
حين وروي مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وكتب الحسن الى معاوية أما بعد فان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ورسولا الى الناس أجمعين لينذر من كان حيا ويحق
القول على الكافرين وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر
كتاب لما حاربه طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قوله تعالى
منهم ما كانوا يحذرون ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله انه ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ونقل عن الحسن البصري رحمه الله ما يدل
على كراهية ذلك فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية أنسي نفسه حين
كتب الى عبد الملك بن مروان بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم باليتني
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على
الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز
أن يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل
الوريد وقوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى
ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز اقامة الحجة وقطع النزاع واذعان الخصم كما روي أن
الحجاج قال لبعض العلماء أنت تزعم أن الحسين رضي الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأتني على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل والا قتلتك فقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن بنته فأسكت الحجاج وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد
بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة وأقرب ما اتفق
من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه في اقامة دعوة بني
العباس بمصر فكتب جوابه بهذه الآية يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله
يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ومن ذلك ما كتبه الادفوني الى يعقوب بن عبد

قال لبعض العلماء أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم الجار قبل الدار قال في قوله تعالى وضرب
الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فطلبت الجار قبل
الدار ونظائر ذلك كثيرة وأين قول العرب القتل أنفى للقتل لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى
من قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحل
عن لفظه ولم يغير معناه فمن ذلك ما روي في عهد أبي بكر رضي الله عنه هذا ما عهد أبو بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة اني استخلفت عليكم
عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك ظني به وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت بكم
ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وروي ان عليا
رضي الله عنه قال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية وما كنت متخذ المضلين عضدا
وكتب في آخر كتاب الى معاوية وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك وما هي من
الظالمين ببعيد وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى
حين وروي مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وكتب الحسن الى معاوية أما بعد فان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ورسولا الى الناس أجمعين لينذر من كان حيا ويحق
القول على الكافرين وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر
كتاب لما حاربه طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قوله تعالى
منهم ما كانوا يحذرون ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله انه ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ونقل عن الحسن البصري رحمه الله ما يدل
على كراهية ذلك فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية أنسي نفسه حين
كتب الى عبد الملك بن مروان بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم يا ليتني
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على
الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز
أن يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل
الوريد وقوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ونحو ذلك مما يقتضيه الادب مع الله سبحانه وتعالى
ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز اقامة الحجة وقطع النزاع واذعان الخصم كما روي أن
الحجاج قال لبعض العلماء أنت تزعم أن الحسين رضي الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأتني على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل والا قتلتك فقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن بنته فأسكت الحجاج وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد
بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والادلة القاطعة وأقرب ما اتفق
من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه في اقامة دعوة بني
العباس بمصر فكتب جوابه بهذه الآية يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله
يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ومن ذلك ما كتبه الادفونش الى يعقوب بن عبد

المؤمن بخط وزيره يقال له ابن الفخار باسمك اللهم فاطر السموات والارض والصلاة على السيد المسيح عيسى بن مريم الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب وعقل لازب انك أمير الملة الحنيفية كما انى أمير الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء جزيرة الاندلس من التخاذل والتواكل واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم الخسف وأخلى منهم الديار وأجوس البلاد وأسبى الذرارى وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون دفاعا ولا يطيقون امتناعا ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا ثم بلغنى أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة الاقبال وتماطل نفسك عاما بعد عام وأراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولست أدرى أكان الجبن أبطأ بك أو التكذيب بما أنزل عليك ربك ثم بلغنى أنك لا تجد الى الجواز سبيلا لعله لا يسوغ لك التقحم معها فأنا أقول ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على أن تفى لى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن وترسل الىّ جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والاجوز بحملتى اليك وأبارزك فى أعز الاماكن عليك فان كانت لك فغنيمة وجهت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستوجبت سيادة الملتين والحكم على البرّين والله تعالى يسهل ما فيه الارادة ويوفق للسعادة لا رب غيره ولا خير الا خيره فكتب رحمه الله على أعلا كتابه ارجع اليوم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون * ومما جوّزوا الاستشهاد به مالا يقصد به الا التلويح الى الآية دون اطراد الكلام كقول القاضى الفاضل رحمه الله مما كتب به الى الخليفة عن صلاح الدين فى الاستصراخ وتهويل أمر الفرنج رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذولة وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة وقد أكثر الناس فى الاستشهاد فمفرط فى الحسن ومفرّط فأما تغيير شئ من اللفظ بغيره أو احالة معنى عما أريد به فلا يجوز وينبغى العدول عنه مهما أمكن والله أعلم * ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية صلوات الله على قائلها وسلامه وخصوصا فى السير والمغازى والاحكام والنظر فى معانيها وغريبها وفصاحتها وفقه ما لا بد من معرفته من أحكامها لينفق منها عن سعة ويستشهد بكل شئ فى موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل وينصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ويبنى كلامه على أصل لا يرفع ويسوق مقاصده الى سبيل لا يصد عنه ولا يدفع فان الدليل على المقصد اذا استند الى النص سلم له وسلم والفصاحة اذا طلبت غايتها فهى بعد كتاب الله فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقد كان على ذلك الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم رضى الله عنهم فمن ذلك قول عكرمة بن أبى جهل فى منازعة الانصار يوم السقيفة والله لولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الائمة من قريش لما أبعدتمونا الانصار ولكانوا لها أهلا ولكنه قول لا شك فيه ولا خيار فأقام الحجة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل لا يرد * ومن ذلك قول على بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى حق الانصار والله لو زالوا لزالت معهم لقول رسول

رضي الله عنهما وهو بالبصرة أما بعد فان المرء يسره ادراك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا وما نلته فلا تنعم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت ومن ذلك ما حكى عن الربيع رحمه الله قال كنا وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت للمهدي وسادة اذ أقبل صالح ابنه وكان قد رشحه أن يوليه بعض أمره فقام بين السماطين والناس على قدر طبقاتهم ومواضعهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده اليه ثم قال الي يا بني فاعتنقه ونظر في وجوه أصحابه هل أحد يذكر مقامه ويصف فضله وكلهم كره ذلك وهاب المهدي فقام شبة بن عقال التميمي ثم قال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه وكما قال زهير بن أبي سلمى

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذا الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

قال الربيع فأقبل على من حضر فقال والله ما رأيت مثل هذا تخلصا أرضى أمير المؤمنين ومدح الغلام وسلم من المهدي فالتفت الي المنصور وقال يا ربيع لا ينصرف التميمي الا بثلاثين ألف درهم (وحكى) أن رجلا دخل على المهدي فقال يا أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي فاما أمرتني أن أحلله واما عوضتني فاستغفرت له قال ولم شتمك قال شتمت عدوه بحضرته فغضب قال من عدوه الذي غضب لشتمه قال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن قال ان ابراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه قال انه كان عدوا له قال فلم ينتصر للعدو وانما انتصر للرحم فاسكت الرجل فلما ذهب ليولي قال لعلك أردت أمرا فلم تجد له عندك ذريعة أبلغ من هذه الدعوى قال نعم فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم ❊ ومن ذلك ما حكى الزبير بن بكار أن معاوية قال لعمرو ابن العاص رضي الله عنه ان رأس الناس مع علي عبد الله بن عباس فلو ألقيت اليه كتابا ترققه فانه ان قال قولا لم يخرج منه علي عليه السلام وقد أكلتنا هذه الحرب فكتب الى ابن عباس كتابا منه (أما بعد) فان الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء وأنت رأس الناس بعد علي فانظر في هذا الامر بعين ما مضى فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة واعلم بان الشام لا يملك الا بهلاك العراق وان العراق لا يملك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا فيكم وما خيركم بعد اعدادكم فينا ولسنا نقول ليت الحرب عادت علينا ولكننا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه وانما هو أمير مطاع أو مأمور مطيع أو مشاور مأمون وهو أنت ثم بعث به اليه فاقرأ ابن عباس عليا الكتاب فقال أجبه فكتب اليه ابن عباس جوابا منه (أما بعد) فاني لا أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك مال بك الى معاوية الهوى وبعته دينك بالخطر اليسير ثم خبطت الناس في ظلماء طمعا في هذا الملك فلما لم تر شيئا أعظمت

الدماء اعظام أهل الدين وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع لا تريد بذلك الا الملك ثم بيت الحرب فان كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه الحرب ليس على فيها كمعاوية بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالظلم وانتهى فيها الى السرف (وحكى) ان عتبة ابن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما منع عليا أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين قال منعه والله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت امرأ في مدارج نفسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين من الاولى (ومن ذلك) ما كتبه معاوية الى على رضي الله عنه أما بعد فانك لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فاجابه لم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك ووفد على هشام بن عبد الملك وفود العرب يشكون جدب الحجاز فقال أصغرهم سنا يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث احداهن أذابت الشحم والثانية أكلت اللحم والثالثة أنقت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لله فاقسموها في عباد الله وان كانت لهم ففرقوها عليهم من مالهم وان كانت لكم فتصدقوا عليهم منها فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام لله درك لم تترك لنا في واحدة عذرا * فانظر في هذا وأمثاله والحفظ منه والاكثار من مطالعته مما يشحذ القرائح ويفتق الاذهان ويرتسم في الخواطر ويكمن في الافكار حتى يفيض ما غاض منه على لسان القلم ويبدو منه لكل واقعة منوال ينسج عليه * ومثال نظر في نظائر الامور اليه ثم النظر في أيام العرب ووقائعهم وحروبهم ونسبة الايام التي كانت بينهم ومعرفة يوم كل قبيلة على الاخرى وما جرى بينهم في ذلك من الاشعار والمناقضات لما في ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة أو يرد عليه في مكاتبة من ذكر أيام مشهورة أو ذكر فارس معين كما قال أبو نصر الفتح بن خاقان في خطبة كتاب قلائد العقيان لو جاوره كليب ما طرق حماه أو استجار به أحد من الدهر حماه أو كان بجفر الهباءة ما انتضى قيس سيفه ولا قضى وطرا من حمل وحذيفه أو كان بوادي الاخرم لطاف به ربيعة وأحرم أو استنجد به الكندي ما كساه الملاءه أو كان حاضر بسطام ما افتخر على الألاءه وكقول أبي تمام

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

نشير الى أن حاجب بن زرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جدب فقال له الحاجب من أنت فقال رجل من العرب فلما دخل على كسرى قال له من أنت قال سيد العرب قال ألم تقل بالباب أنا رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سدتهم فلأه درا وشكى اليه محل الحجاز وطلب منه ألف حمل برا على أن يعيدها فقال وما رهنتني على ذلك قال قوسي فاستعظم همته وقال قبلت وأعطاه حمل ألف بعير برا ومات حاجب فأحضر بنوه بعد موته المال وطلبوا قوس أبيهم فافتخرت تميم بذلك فأشار أبو تمام الى هذه المنقبة وقال

فأنتم بذي قار أبادت سيوفكم * جيوش الذين استرهنوا قوس حاجب

جفر الهباءة موضع قتل فيه حمل وحذيفة ابنا بدر الفزاريان

وأمثال ذلك في نظائره كثيرة في النظم والنثر فاذا لم يكن صاحب هذه الصناعة عارفا بما يرد من
هذه الايام فالبا عما يجري فيها لم يدر كيف يجيب عما يرد اليه منها ولا ما يقول اذا سئل عنها
وحسبه ذلك نقصا في صناعته وقصورا عما يتحتم عليه من معرفته وحسن الجواب فيه عند
السؤال عنه (ثم النظر في التواريخ) ومعرفة أخبار الدول لما في ذلك من الاطلاع على سير
الملوك وسياساتهم وذكر أوقاتهم ومكائدهم في حروبهم وما اتفق لهم من التجارب التي بلغوا
بها أقصى المآرب وتصير لدى بعضهم كالمرآة التي تصور لهم وجوه التدبير وتريهم ما استقر
عليهم من صغير الامور والكبير فانه قد يضطر الى السؤال عن أحوال من سلف من أول
العصر والى الآن ويستخبر كيف كان الامر بين فلان وفلان وكيف انتصر فلان على فلان
أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها أو يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها
ولا صدقها من مينها (ثم حفظ أشعار العرب) وحفظ الكثير منها واستكشاف غوامضها
والتوفر على ما اختاره العلماء منها كالحماسة والمفضليات والاصمعيات وديوان الهذليين
وما أشبه ذلك لما في ذلك من غزارة المواد وصحة الاستشهاد وكثرة التمثل وصقل مرآة
العقل وانتزاع الامثال والاخذ في اختراع المعاني على أصح مثال والاطلاع على أصول اللغة
وشواهدها والاطلاع على نوادر العربية وشواردها وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك
غاية الاعتناء فذكر أن عمر رضي الله عنه كان يقدم زهير بن أبي سلمى في الشعر فقيل له بم استحق
ذلك عندك فقال كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يصف الرجل الا بما
يكون في الرجال (وذكر) عن بعض الائمة أنه كان يحفظ ديوان هذيل وذكر أبو البركات بن
الانباري في كتاب طبقات الادباء في ترجمة أبي جعفر أحمد بن اسحق البهلول بن حسان الانباري
انه كان فقيها عالما واسع الادب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء * وحكى عن ولده أبي طالب
قال كنت مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه والى جانبه أبو جعفر الطبري فأخذ أبي
يعزي صاحب المصيبة ويسليه وينشده أشعارا ويروي له أخبارا فداخله الطبري في ذلك ثم
اتسع الامر بينهما في المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة من الادب والعلم استحسنها الحاضرون
وعجبوا منها وتعالى النهار وافترقنا فقال لي أبي يا بني من هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة
فقلت يا سيدي كأنك لم تعرفه قال لا فقلت هذا أبو جعفر الطبري فقال انا لله ما أحسنت عشرتي
فقلت كيف يا سيدي فقال ألا نبهتني في الحال فكنت أذاكره بغير تلك المذاكرة هذا رجل
مشهور بالحفظ والاتساع في صنوف العلم ما ذاكرته بحسبها ومضت على هذا مدة فحضرنا في
حق آخر وجلسنا واذا بالطبري يدخل الى الحق فقلت له قليلا قليلا أيها القاضي هذا أبو جعفر
الطبري قد جاء مقبلا فأومأ اليه بالجلوس عنده فعدل اليه وجلس الى جانبه وأخذ يذاكره
فكلما جاء الى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتا قال أبي هاتها يا أبا جعفر الى آخرها فيتلعثم
الطبري فينشدها أبي الى آخرها وكلما ذكر شيئا من السير قال أبي هذا كان في قصة فلان ويوم
بني فلان مر يا أبا جعفر فيه فربما مر وربما تلعثم فمر أبي في جميعه ثم قمنا فقال لي الآن شفيت
صدري (فاذا أكمل) المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله وظهرت له مواضع

الاستشهاد

الاستشهاد به وساقه الكلام الى ابرازما فى ذخيرة حفظه ووضعه فى مكانه ونقله فى الاستشهاد أو التضمين الى ما كأنه وضع له كما اتفق للقاضى أبى بكر الأرجانى فى تضمين أنصاف أبيات للعرب فى بعض قصائده فقال

وأهدى الى الوزير المدح يتلو * لك المرباع منها والصفايا
ورافق رفقة رحلوا اليه * فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وقل للراحلين الى ذراه * ألستم خير من ركب المطايا
ولا تسلك سوى طرقى فانى * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وكما قال بديع الزمان الهمدانى أنا لقرب دار مولاى كما طرب النشوان مالت به الخمر ومن الابتهاج لمرآه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الارتياح الى لقائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ومن الامتزاج بولائه كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب * وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كأبى تمام ومسلم بن الوليد والبحترى وابن الرومى والمتنبى لطف مأخذهم ودوران الصناعة فى كلامهم ورقة توليد المعانى فى أشعارهم وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة وخصوصا المتنبى الذى كأنه ينطق عن ألسنة الناس فى محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله وحتى اكتفى بالبيت الواحد فى الدلالة على القصد وبلوغ الغرض فى الجواب كما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده * ولا رسل الا الخميس العرمرم

وكذلك النظر فى رسائل المتقدمين دون حفظها لما فى النظر فيها من تنقيح القريحة وارشاد الخاطر وتسهيل الطرق والنسج على منوال المجيد والاقتداء بطريقة المحسن واستجلاء ما أنتجته القرائح من أبكار الافكار واستخلاء ما رققته الخواطر من حياض الالفاظ واستدراك ما فات القاصر والاحتراز عما أظهره النقد ورده ما بهرجه السبك فأما النهى عن حفظها فلذلك لئلا يتكل الخاطر على ما فى حاصله ويستند الفكر الى ما فى مودعه ويكتفى بما ليس له ويتلبس بما لم يعط كلابس ثوبى زور (فمن ملح كلامهم) التى يتعين الاحتفاظ بها دون حفظها ويعلم المتعرض لهذه الصناعة انه لا سبيل له الى الجمع بين معناها ولفظها ما كتب به عبد الحميد ابن يحيى عند ظهور الخراسانية بشعار السواد * فانتبذوا ربما تجلى هذه الغمرة وتصحو هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل * ومن ذلك قول ابراهيم بن العباس الصولى اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسىء من النكال ما يقمعه بذل المحسن ما يجب عليه رغبة وانقاد المسىء الى ما كلفه رهبة (ومن ذلك قول أبى نصر الضبى) لما سمع القوم باقباله دب الفشل فى تضاعيف أحشائهم وسرى الوهل فى تقارب أعضائهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومنه قول الصابى) نزغ به شيطانه وامتدت به فى الغى أشطانه (ومنه قول بديع الزمان) كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم أكن

لقيته فقد بالغني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وهذه المحاضرة
وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون قال الاصمعي الى أن أقصد ما فيه سؤال
والرجوع عن الكتاب أحب الي من الرجوع عنها بحال قد آمت التعريف واما الانتظار
الجواب الشريف (ومنه قول القاضي الفاضل) ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب
وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها
قلامة ونظائر ذلك في رسائلهم ورسائل غيرهم كثيرة جدا * فاما من قصد المحاضرة بذلك
دون الانشاء فالاحسن به حفظ ذلك وأمثاله وكذلك النظر في كتب الامثال الواردة عن
العرب نظما ونثرا كامثال الميداني والفضل بن سلمة الضبي وحمزة الاصبهاني وغيرهم
وأمثال المحدثين الواردة في اشعارهم كابي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأمثال المولدين
والامثال الموضوعة على ألسن الحيوان للعرب وغيرهم ليستشهد بالمثل في موضعه ويورده في
مكانه ويكون من وراء المعرفة باصله وأول من أرسله مثلا ومن استشهد به وذكر سببه
كمثل قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وأول من قال ذلك خالد بن الوليد رضي الله
عنه قاله في صبح ليلة قطع فيها باصحابه مفازة كانت في طريقه من العراق الى الشام وقولهم
ساء سمعا فاساء اجابة أول من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تزوج صفية بنت أبي جهل
فولدت له ابنه أنسا فرآه الاخنس بن شريق الثقفي معه فقال من هذا فقال سهيل ابني فقال
الاخنس حياك الله يا فتى أين أمك فقال لا والله ما أمي ثم انطلقت الى أم حنظلة تطحن
دقيقا فقال أبوه ساء سمعا فاساء اجابة فلما رجعا قال أبوه لامه فضحني ابنك اليوم قال كذا وكذا
فقالت انما ابني صبي فقال أشبه امرؤ بعض بزه فارسلها مثلا وكتب الامثال موضوعة لذلك
(وأما التمثل بالشعر) فقد روى ان عمر رضي الله عنه تمثل يوما بقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

ثم قال لمن هذا فقيل له للنابغة فقال ذاك أشعر شعرائكم وسأل عمر ابن عباس رضي الله
عنهم عن شئ فاجابه عنه فاعجبه جوابه فقال شنشنة أعرفها من أخزم وأمثال ذلك مما تمثل به
الصحابة كثير (وأما الموضوع) على ألسن الحيوانات فقد روى أن عليا رضي الله عنه حين رأى
خلاف أصحابه وتخاذلهم قال انما أكلت يوم أكل الثور الابيض يعني انما خذلت يوم خذل
عثمان وحكاية هذا المثل أنهم قالوا اصطحب أسد وثور احمر وثور أسود وثور أبيض في أجمة
فقال الاسد للاحمر وللاسود هذا الابيض يفضحنا بلونه ويطمع فينا من يقصدنا فلو تركتماني
آكله أمنا فضيحة لونه فاذنا له في ذلك فاكله ثم قال للاحمر هذا الاسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت
انا وانت لظن من يرانا أسدا مثلي فدعني آكله فسكت عنه فاكله ثم قال للثور الاحمر لم يبق الا أنا
وأنت واريد أن آكلك فقال ان كنت فاعلا ولا بد فدعني أصعد تلك الهضبة وأصيح ثلاثة
أصوات فقال افعل ما تريد فصعد وصاح ثلاثة أصوات ألا انما أكلت يوم أكل الثور الابيض
(وحكى) أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة فقال يا أهل المدينة قتل عثمان بين أظهركم
فنحن لا نحبكم وأرسلنا لكم مسلم بن عقبة فقتلكم في وقعة الحرة فانتم لا تحبونا

قبلنا ومثلكم كما قال النابغة

كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى أن قد ثمّر ماله * وأثّل موجودا وسد مفاقره
أكب على فأس يحد غرابها * مذكرة من المعاول باتره
فلما وقاها الله ضربة فأسه * وللبر عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا أو تنجزي لي آخره
فقالت يمين الله أفعل انني * رأيتك مسحورا يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقابلي * وضربة فأس فوق رأسي فاقره

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على ألسن الحيوان وهي ان أخوين هبطا بغنمهما واديا يرعيان فيه فخرجت حية من تحت الصفا وفي فمها دينار فالقته اليهما وأقامت كذلك أياما فقال أحدهما الا بدلي من قتل هذه الحية وأخذ هذا الكنز فنهاه أخوه فلم يقبل فخرجت فضربها بفاس بيده فشجها وشدت عليه فقتلته فرقبها أخوه مقابلها فلما خرجت قال هل لك ان نتعاهد على المودة وعدم الاذية وتعطيني ذلك الدينار كل يوم فقالت لا قال ولم قالت لانك كلما نظرت الى قبر أخيك لا تصفو لي وكلما ذكرت الشجة التي في رأسي لا أصفو لك * وأما أمثال المحدثين فحكمها حكم أمثال العرب الشعرية وأما أمثال المولدين فلانه يأتي منها ما يستظرف كقول الارجاني

تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

وكذلك النظر في الاحكام السلطانية فانه قد يؤمر بامر فيعرف بها كيف يخاص قلمه على حكم الشريعة المطهرة من ولاية القضاء والحسبة وغير ذلك فهذه أمور كلية لابد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها والاكباب على مطالعتها والاستكثار منها لينفق من تلك المواد ويسلك في الوصول الى تلك الصناعة بتلك المواد والا فليعلم انه في واد والكتابة في واد وأما الامور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره وتزين العلم بها نظمه ونثره فانها من المكملات لهذا الفن وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها متمكن من أزمة المعاني يقول عن علم ويتصرف عن معرفة ويتقصد بحجة ويتخير بدليل ويستحسن ببرهان ويصوغ الكلام بترتيب (فمن ذلك) علم المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة في اعجاز الكتاب العزيز ككتب الرماني والجرجاني والامام فخر الدين والسكاكي والخفاجي وغيرهم وأنا أشير الآن الى نكت منها تدل على جلالة قدر هذا العلم وعظم الفائدة به وأن الاديب والكاتب العاريين منه قاصران عن أدنى رتب الكمال بعيدان ولا يدريان كيف يحيبان فلو سئل عن علة معنى استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك كما قال بعضهم

يا أبا جعفر أتحكم في الشعر * وما فيك آلة الحكام

ان نقد الدينار الا على الصير * في صعب فكيف نقد الكلام
قد رأينا الناس تفرق في الأشعار بين الأرواح والأجسام

وحكى الامام عبد القاهر الجرجاني قال ركب الكندي المتفلسف الى أبي العباس وقال له انى أجد في كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس في أي موضع وجدت ذلك فقال وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فما أحار المتفلسف جوابا واذا ذهب مثل هذا على الكندي فما الظن بغيره وان كان من محاسن الكلام ما لا يحكم في امتزاجه بالقلوب غير الذوق السليم كما قال الشاعر

شيء به فتن الورى غير الذي * يدعى الجمال ولست أدري ما هو

لكن الغالب في الكلام يعلم سبب تحسينه وتمال مواد تمكينه ويجاب عن العلة في انحطاطه وارتفاعه ويذكر المعنى في ارتقائه من حضيض القول الى أيفاعه

(فأقول) ملخصا من ذلك ما يشير الى الغرض ان شاء الله تعالى وهو * البلاغة ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة في غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف كقول اعرابي سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع وكقول امرئ القيس * غدائره مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة وهي ان تكون الكلمة وحشية كما قال عيسى بن عمرو النحوي وقد سقط عن دابته ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني أي اجتمعتم علي تنحوا ومن مخالفة القياس كقول الراجز * الحمد لله العلي الاجلل * فان القياس الادغام وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد فالضعف كما في قول الشاعر

جزى ربه عني عدي بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فان رجوع الضمير الى المفعول يلزم منه رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبة والتنافر كقول القائل * وليس قرب قبر حرب قبر * والتعقيد كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

أراد أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه

(فصل) الحقيقة في اللغة فعيلة بمعنى مفعولة من حق الامر يحقه بمعنى أثبته أو من حققته اذا كنت منه على يقين والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه اذا تعداه فاذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم قد جازوا به موضعه الاصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه

ان نقد الدينار الا على الصير * فى صعب فكيف نقد الكلام
قد رأينا الثياب تفرق فى الاشعار بين الارواح والاجسام

وحكى الامام عبد القاهر الجرجانى قال ركب الكندى المتفلسف الى أبى العباس وقال له انى أجد فى كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك قال وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فما أحار المتفلسف جوابا فاذا ذهب مثل هذا على الكندى فما الظن بغيره وان كان من محاسن الكلام ولا يتحكم فى امتزاجه بالقلوب غير الذوق السليم كما قال الشاعر

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست أدرى ما هو

لكن الغالب فى الكلام يعلم سبب تحسينه وتعالى مواد تمكينه ويجاب عن العلة فى انحطاطه وارتفاعه ويذكر المعنى فى ارتقائه من حضيض القول الى أيفاعه

(فاقول) ملخصا من ذلك ما يشير الى الغرض ان شاء الله تعالى وهو * البلاغة ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة فى غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف كقول اعرابى سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع وكقول امرئ القيس * غدائره مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة وهى ان تكون الكلمة وحشية كما قال عيسى بن عمرو النحوى وقد سقط من دابته ما لكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة افرنقعوا عنى أى اجتمعتم على تنحوا ومن مخالفة القياس كقول الراجز * الحمد لله العلى الاجلل * فان القياس الادغام وأما فصاحة الكلام فهى خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد فالضعف كما فى قول الشاعر

جزى ربه عنى عدى بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فان رجوع الضمير الى المفعول يلزم منه رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبة والتنافر كقول القائل * وليس قرب قبر حرب قبر * والتعقيد كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

أراد أن يقول وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه

(فصل) الحقيقة فى اللغة فعيلة بمعنى مفعولة من حق الامر يحقه بمعنى أثبته أو من حققته اذا كنت منه على يقين والمجاز مفعل من جاز الشئ يجوزه اذا تعداه فاذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم قد جازوا به موضعه الاصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه

أولا لانه ليس بموضوع أصلى لهذا اللفظ ولكنه مجازه وشعاره شعوبه كالواقف بمكان غيره ثم يتعدى الى مكانه الاصلى (وحدهما فى المفرد) أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهى حقيقة كالاسد للسبع المفترس واليد للجارحة ونحو ذلك وان أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهى مجاز كالاسد للشجاع واليد للنعمة أو القوة فان النعمة تعطى باليد والقوة تظهر بكمالها فى اليد (وحدهما فى الجملة) أن كل جملة كان الحكم الذى دلت عليه كما هو فى العقل فهى حقيقة كقولنا خلق الله الخلق وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأويل فهى مجاز كما اذا أضيف الفعل الى شئ يضاهى الفاعل كالمفعول به فى قوله تعالى عيشة راضية وماء دافق أو المصدر كقولهم شعر شاعر أو الزمان كقول النعمان بن بشير لمعاوية والليل عما نالت فوم نائم * أو المكان كقولك طريق سائر أو المسبب كقولهم بنى الامير المدينة أو السبب كقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (المجاز المفرد لغوى) ويسمى مجازا فى المثبت (ومجاز الجملة عقلى) ويسمى مجازا فى الاثبات واذا عرفت هذا فنقول المجاز قد يكون فى الاثبات وهو أن يضاف الفعل الى غير الفاعل الحقيقى كما ذكرنا وقد يكون فى المثبت وحده كقوله تعالى فأحيينا به الارض بعد موتها جعل خضرة الارض ونضرتها حياة وقد يكون فيهما جميعا كقولك أحيتنى رؤية بك تريد سرتنى فقد جعلت السرور حياة وأسندتها الى الرؤية وهو مجاز فى الاثبات والمجاز أعم من الاستعارة والتمثيل والكناية ومحيط بها (واعلم) أنهم اشترطوا فى كون اللفظ مجازا الى اعتبار شيئين الاول أن يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك الثانى أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما ولا توصف الاعلام المنقولة بأنها مجاز اذ ليس نقلها لتعلق نسبة بين المنقول وبين من له العلم واذا تحقق الشرطان فهى مجاز وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا رعينا الغيث يريدون النبت الذى الغيث سببه وأصابتنا السماء يريدون المطر والمجاز قد يكون بزيادة كقوله تعالى وكفى بالله شهيدا وبنقصان كقوله تعالى واسأل القرية وانما يكون كل منهما مجازا اذا تغير بسببه حكم فاما اذا لم يتغير كقولك زيد منطلق وعمرو بحذف الخبر فلا يكون مجازا اذ لم يتغير حكم ما بقى من الكلام (القول فى التشبيه) وهو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد فى نفسه كالشجاعة فى الاسد والنور فى الشمس وهو ركن من أركان البلاغة لاخراجه الخفى الى الجلى وادنائه البعيد من القريب وهو حكم اضافى لا يوجد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة وليس الحكم أنه اذا حسنت الاستعارة حسن التصريح بالتشبيه فان المشابهة اذا قربت بين الشيئين بالاستعارة قبح التصريح بالتشبيه فلا تقول كأنك أوقعتنى فى ظلمة اذا أوقعته فى شبهة ولا فسحت المسألة فكأنه انشرح صدرى أو كأن نورا حصل فى قلبى لتمكن هذه الاشياء حتى كأنها صارت حقيقة (ثم التشبيه على أربعة أقسام) الاول تشبيه محسوس بمحسوس لاشتراكهما فى المحسوسات الاولى وهى مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس كتشبيه الخد بالورد والوجه بالنهار وأطيط الرحل بأصوات الفراريج والفوا كه الحلوة بالسكر والعسل ورائحة بعض الرياحين

جعل يوم النوى كأنه أظهر وأعرف بالسواد من الظلام فرجع فشبهه به ثم عطف عليه قوله ومن لا يعشق تظلم الأيام ... ويستوي الشواهد على من لا يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب أصلا عنده في السواد فشبه عليه وهكذا الكلام في قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

وفي قول القاضي التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا

فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

وكذلك قول الصاحب ابن عباد حين أهدى للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

يا أيها القاضي الذي نفسي له * مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدي له أخلاقه

والعادة تشبيه الثناء بالعطر وهو عكس الامر على جهة المبالغة كما بينا وكذلك قول جحظة

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

وقلت في تشبيه حصن

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تمثل في طيها الفكر

لانه لما ارتفع في الجو حتى صار كالوهم فيما يكون من تشبيه المحسوس بما يتخيل أنه محسوس لا ظلامه في العين أو فرض له انتفاء حتى صار يشبه معقول بمعقول وقال أبو اسحق الصابي في بعض رسائله وهو في تشزره عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة وما رجوه من الظفر به كالظلامة المردودة ** ويقرب من هذا النوع تشبيه الموجود بالتخييل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الجمر بين الرماد ببحر من المسك موجه الذهب وذلك انما يتم اذا فرض المتخيل أمورا كل واحد منها موجود في الاعيان فحينئذ يكون التشبيه حسنا لطيفا كقول الشاعر في النرجس

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در حشوهن عقيق

وكقول الآخر في تشبيه الشقائق

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد * أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

ويقرب من هذا الجنس قول امرئ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فانهم لم يشاهدوا أنياب الاغوال بل اعتقدوا انها في غاية الحدة فحسن التشبيه وعليه جاء قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين لتناهي رؤس الشياطين في الكراهة ولاعتقادهم الغاية في قبح الشياطين وكراهيته يشبهون به الوجه القبيح ولاعتقادهم الغاية في خير الملك وانه لا شر فيه يشبهون به الصور الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم واعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانتساب الى شيء وذلك اما الى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد كالراقم على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي وليس له بعير او للحال

واما الى المفعول به والجار والمجرور كقولهم هو كمن يجمع السيفين فى غمد وكمبتغى الصيد فى عريسة الاسد ومن ذلك قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فان التشبيه لم يحصل من مجرد الحمل بل لامرين آخرين معه تعديته الى الاسفار واقتران الحمل بما فيها لان الغرض توجيه الذم الى من أتعب نفسه فى حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله وكقول لبيد

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

فانه لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم بحلول اهل الديار وسرعة رحيلهم منها وكلما كانت القيدات أكثر كان التشبيه أوغل فى كونه عقليا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فان التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن فصل بعضها من بعض فانك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمقصود من التشبيه * ثم ما به المشابهة ان كان مركبا فانه على قسمين الاول ما لا يمكن افراد أحد أجزائه بالذكر كقول القاضى التنوخى

كأنما المريخ والمشترى * قدامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أسرجت قدامه شمعه

فانك لو اقتصرت على قوله كأنما المريخ منصرف عن دعوة أو كان المشترى شمعة لم يحصل ما قصده الشاعر فانه انما قصد الهيئة التى يكتسبها المريخ من كون المشترى أمامه ولى فى مثل ذلك

كأن سهيلا والنجوم وراءه * صفوف صلاة قام فيها امامها

فانه لا يمكن افراد أجزاء هذا التشبيه اذ لو قلت كأن سهيلا امام وكأن النجوم صفوف صلاة ذهبت فائدة هذا التشبيه الثانى ما يمكن افراده بالذكر ويكون اذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه فى طرفيه الا أن المعنى يتغير كقول أبى طالب الرقى

وكأن اجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

فلو قلت كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق وجدت التشبيه مقبولا ولكن المقصود من الهيئة المشبه بها قد زال وربما كان التشبيه فى أمور كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض وانما يكون بعضها مضموما الى بعض وكل واحد منها منفرد بنفسه كقولك زيد كالاسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء وكقولك هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر وله خاصتان احداهما أنه لا يجب فيه الترتيب والثانية اذا أسقط البعض لا يتغير حكم الباقى ومنه قول الشاعر

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

ومنه قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وفيه نظر * وقد ذكر بعض المتأخرين فى التشبيه سبعة أنواع نحن نوردها وان لم تكن كلها منه

الأول التشبيه المطلق وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل كقوله تعالى: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، وقوله تعالى: وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام، وقوله تعالى: كأنهم أعجاز نخل خاوية، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: الناس كأسنان المشط

الثاني التشبيه المشروط وهو أن يشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا أو لولا أنه بصفة كذا كقوله أشبه وجه مولانا بالعيد القليل لو كان العيد تبقى مباسمه وتدوم محاسنه وكقوله وجهه هو الشمس لولا كسوفها والقمر لولا خسوفه وكقول البديع الهمداني

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وكقول الآخر

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول

الثالث تشبيه الكناية وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير أداة التشبيه كقول المتنبي

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقول الوأواء الدمشقي

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الرابع تشبيه التسوية وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة من الصفات المقصودة ويشبههما بشيء واحد كقوله

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي * وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وقلت في هذا التشبيه

أسروا الى ليلى سراهم فما انجلى * وبات كطرفي نجمه وهو حيران

كلانا غريق في الدموع وفي الدجى * كأن دموع العين والليل طوفان

الخامس التشبيه المعكوس وهو أن يشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر كقول بعضهم كم من دم أهرقناه في البر وشخص أغرقناه في البحر فأصبح البر بحرا بدمائهم والبحر برا بأشلائهم وكقول الشاعر

الخمر تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح خمر جمد

فاشرب على جامده ذوبه * ولا تدع لذة يوم بغد

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها وتشاكل الامر

فكأنه خمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا خمر

وقول منصور الهروي

الراح مثل الماء في كاساتها * والماء مثل الراح في الغدران

السادس تشبيه الاضمار وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء ويدل ظاهر لفظه على أن مقصوده غيره كقول المتنبي

ومن كنت جاراً له يا علي * فلا يقبل الدر الا كارا

فيدل ظاهره على أن مقصوده الدر وانما غرضه تشبيه الممدوح بالبحر وكقول الشاعر

ان كان وجهك شمسا * فالجسم مني يذوب

السابع تشبيه التفضيل وهو أن يشبه شيأ بشيء ثم يرجع فيرجح المشبه على المشبه به كقوله

حسبت جماله بدرا مضيئا * وأين البدر من ذاك الجمال

وكقول ابن هند

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شيئين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وذاك ان جاد دامع العين

وقد تقدم تشبيه شيء بشيء فأما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع رمل أو مساويك أسحل

وأما تشبيه شيء بثلاثة أشياء فكقول البحتري

كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح

وتشبيه شيء بأربعة أشياء كما قلت

لله طرس عن سطور جادها * الفكر السليم بصوب مسك أذفر

فكأنما هو روضة أو جدول * أو عقد در أو قلادة عنبر

وأما تشبيه شيء بخمسة فكقول الحريري

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكما مر من قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

وأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وأما تشبيه أربعة بأربعة فكقول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبي نواس

يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وأما تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء فكقول أبي الفرج الوأواء الدمشقي وقد مر

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وله تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء وهو

كأن الدراري والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

قال

ومن كنت جاراً له يا علي * فلا يقبل الدر إلا كبارا

فيدل ظاهره على أن مقصوده الدر وإنما غرضه تشبيه الممدوح بالبحر وكقول الشاعر

ان كان وجهك شمعاً * فالجسم مني يذوب

السابع تشبيه التفضيل وهو أن يشبه شيأ بشيء ثم يرجع فيرجح المشبه على المشبه به كقوله

حسبت جماله بدرا مضيئا * وأين البدر من ذاك الجمال

وكقول ابن هند

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شيئين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وذاك ان جاد دامع العين

وقد تقدم تشبيه شيء بشيء فأما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع رمل أو مساويك أسحل

وأما تشبيه شيء بثلاثة أشياء فكقول البحتري

كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح

وتشبيه شيء بأربعة أشياء كما قلت

لله طرس عن سطور جادها الفكر السليم بصوب مسك أذفر

فكأنما هو روضة أو جدول * أو سمط در أو قلادة عنبر

وأما تشبيه شيء بخمسة فكقول الحريري

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكما مر من قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

وأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وأما تشبيه أربعة بأربعة فكقول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبي نواس

يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وأما تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء فكقول أبي الفرج الواوا الدمشقي وقد مر

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وله تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء وهو

كأن الدراري والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التقاؤها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

كان الطباق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض وان كان الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل أو اللون مع العكس كتشبيه الصبح بغرة الفرس الادهم لا للمبالغة في الضياء بل لوقوع منير في مظلم وحصول بياض قليل في سواد كثير والتشبيه قد يجيء غريبا يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كقول ابن المعتز * والشمس كالمرآة في كف الاشل * والجامع الاستدارة والاشراق مع تواصل الحركة التي تراها اذا أمعنت النظر في اضطراب نور الشمس ويقرب منه قول الآخر في طلوع الشمس وظهورها في خلال الاوراق

كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع

دنانير في كف الاشل يضمها * لقبض وتهوي من فروج الاصابع

وكقول الوزير المهلبي

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بودقة أحميت * يجول فيها ذهب ذائب

ومن لطيف ما جاء في هذا النوع من التشبيه قول الاخطل في صفة المصلوب

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الوداع الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطي لان المتمطي يمتد ويظهره ثم يعود الى حالته الاولى فزاد فيه انه مواصل لذلك وعلله بالقيام من النعاس لما في ذلك من اللوثة والكسل ومن فساد التشبيه أن يجيء معكوسا كقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فذكر أن الشيب يبدو في الشباب ثم ترك ما ابتدأ به ووصف الشباب بأنه ليل يصيح فيه نهار والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول كأنه نهار في جانبي ليل

﴿فصل﴾ التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه وانما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند أهل هذا الفن هو الذي يجيء على حد الاستعارة كقولك لمن تردد في الامر بين أن يفعله أو يتركه أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى والاصل أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ﴿القول في الاستعارة﴾ هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا وان شئت قلت هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لاجل المبالغة في التشبيه فالاول كقولك لقيت أسدا تعني الرجل الشجاع والثاني كقول لبيد * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها * أثبت اليد للشمال مبالغة في تشبيهها بالقادر في التصرف فيه وسيأتي تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى وحد الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للابانة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة من شيء قد عرف بها الى شيء لم يعرف بها وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل واشتعل

الراس

الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم توضع في أصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حالته المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بد من أن يكون أوضح من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيه لان الحقيقة لو قامت مقامه لكانت أولى به لانها الاصل وليس يخفى على المتأمل أن قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا أبلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة هذا المعنى ولا بد للاستعارة من حقيقة هي أصلها وهي مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له وأما قولنا مع طرح ذكر المشبه فاعلم أننا اذا طرحناه كقولنا رأيت أسدا وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالاتفاق وان ذكرناه مع المشبه وقلنا زيد أسد فالمختار أنه ليس باستعارة اذ في اللفظ ما يدل على أنه ليس بأسد فلم تحصل المبالغة واذا قلت زيد الاسد فهو أبعد عن الاستعارة فان الاول خرج بالتنكير من أن يحسن فيه كاف التشبيه فان قولك زيد كأسد كلام نازل بخلاف الثاني قال ضياء الدين بن الاثير وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطوه بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول أما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة لبيان ذكره لانه لا خلاف فيه ولكن نذكر التشبيه المضمر الاداة فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمر الاداة قلنا فيه زيد أسد أي كالاسد فأداة التشبيه فيه مضمرة مقدرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم يقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ولم تزل عنه فصاحته وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه واذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من الحسن والفصاحة ولنضرب لذلك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ولا يقال عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص فالفرق اذا بين التشبيه المظهر الاداة وبين الاستعارة أن التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها والاستعارة أخص من المجاز اذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز وأيضا فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه والحق أن المعنى يعار أولا ثم بواسطته يعار اللفظ ولا تحسن الاستعارة الا حيث كان التشبيه مقررا بينهما ظاهرا والا فلا بد من التصريح بالتشبيه فلو قلت رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمنا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل النخلة أو مثل الخامة لكنت كالملغز التارك لما يفهم وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا بحيث يكون ألطف من التصريح بالتشبيه فانك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز

أثمرت أغصان راحته * لجناة الحسن عنابا

احتجت أن تقول أثمرت أصابع راحته التي هي كالاغصان لطالب الحسن شبه العناب من

أطرافها المخضوبة وهذا أتم الاخفاء بقناته وربما جمع بين عدة استعارات الحاقا للشكل بالشكل لاتمام التشبيه فتزيد الاستعارة به حسنا كقول امرئ القيس في صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله الاعلام لا يدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز وأما الفعل فالاستعارة تقع أولا في المصدر ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل فاذا قلت نطقت الحال بكذا فهذا انما يصح لانك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء فلا جرم استعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته الى الفعل والاسماء المشتقة في ذلك كالفعل فظهر أن الاستعارة انما تقع وقوعا أوليا في أسماء الاجناس ثم الفعل اذا كان مستعارا فاستعارته اما من جهة فاعله كقوله نطقت الحال بكذا واعبثت به الهموم وقول جرير

تحيى الروامس ربعها فتجده * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبي حية

وليلة مرضت من كل ناحية * فما يضيء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

جمع الحق لنا في امام * قتل الجور وأحيا السماحا

أو من جهة مفعوليه كقول الحريري

وأقري المسامع اما نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه كقول الشاعر

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها أما ترشيحها فهو أن تنظر فيها الى المستعار وتراعي جانبه وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه كقول كثير

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب * ظواهر جسمي وهو في القلب جارح

وكقول النابغة

وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والاراحة منظور اليه ما في لفظي السهم والعازب وكما أنشد صاحب الكشاف

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم نظر الى المستعار في لفظة الاعتجار وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا اليه كقوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فان الاذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والالم تشبيها له بما يدرك من طعم المر البشع واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قال فأذاقها ما غشيها من ألم الجوع والخوف وكقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فلو نظر الى المستعار له لقال لدى أسد دامي المخالب أو دامي البراثن مثلا ونظر زهير في آخر البيت الى المستعار أيضا ومنه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية وهو أن لا يصرح بذكر المستعار بل يذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه كقولهم شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وكقول أبي ذؤيب

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر والمنية سبع وهذا وان كان يشبه الاستعارة المجردة الا أنه أغرب وأعجب ويقرب منه قول زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول من لم يرض بأحكام الصلح رضي بأحكام الحرب اى أشرعوا الاسنة وأخروا الرماح وقد يسمى هذا النوع المماثلة أيضا وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة وذلك أنهم يستعيرون الوصف المحسوس للشئ المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشئ في الحقيقة وان الاستعارة لم توجد أصلا مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول أبي تمام

ويصعد حتى يظن الحسود * بأن له حاجة في السماء

وكقوله أيضا

مكارم لجت في علو كأنما * تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وكذلك يستعيرون اسم شئ لشئ من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون الى حيث يعتقد أنه ليس هناك استعارة كقول ابن العميد

قامت تظللني من الشمس * نفس أعز علي من نفسي
قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس

وكقول آخر

أيا شمعا يضيء بلا انطفاء * ويا بدرا يلوح بلا محاق
فأنت البدر ما معنى انتقاصي * وأنت الشمع ما معنى احتراقي

فلولا أنه أنسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه كقول الشاعر

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

وهذا أيضا تم بالحكم الجزم بكونه قمرا يكون من شأنه أن يبلي الكتان

﴿فصل في أقسام الاستعارة وهي على نوعين﴾ الاول أن يعتمد نفس التشبيه وهو أن

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فلو نظر الى المستعار له لقال لدى أسد دامي المخالب أو دامي البراثن منصلا ونظر زهير في آخر البيت الى المستعار أيضا ومنه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية وهو أن لا يصرح بذكر المستعار بل يذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه كقولهم شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وكقول أبي ذؤيب

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر والمنية سبع وهذا وان كان يشبه الاستعارة المجردة الا أنه أغرب وأعجب ويقرب منه قول زهير

ومن يعص أطراف الرماح فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول من لم يرض بأحكام الصلح رضي بأحكام الحرب اى أشرعوا الاسنة وأخروا الرماح وقد يسمى هذا النوع المماثلة أيضا وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة وذلك أنهم يستعيرون الوصف المحسوس للشئ المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشئ في الحقيقة وان الاستعارة لم توجد أصلا مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول أبي تمام

ويصعد حتى يظن الحسود * بأن له حاجة في السماء

وكقوله أيضا

مكارم لجت في علو كأنما * تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وكذلك يستعيرون اسم شئ لشئ من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون الى حيث يعتقد أنه ليس هناك استعارة كقول ابن العميد

قامت تظللني من الشمس * نفس أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس

وكقول آخر

أيا شمعا يضيء بلا انطفاء * ويا بدرا يلوح بلا محاق

فأنت البدر ما معنى انتقاصي * وأنت الشمع ما معنى احتراقي

فلولا أنه أنسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه كقول الشاعر

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

وهذا أيضا بني على الحكم الجازم بكونه قمرا يكون من شأنه أن يبلي الكتان

﴿فصل في أقسام الاستعارة وهي على نوعين﴾ الاول أن يعتمد نفس التشبيه وهو أن

معقول الشيء معقول لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي وأحدهما أكمل من ذلك الوصف فينزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود اذا اشتركا في عدم الفائدة أو استعارة اسم الوجود للعدم اذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الادراك والعقل وكقولهم فلان لقي الموت اذا لقي الشدائد لاشتراكهما في المكروهية وقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب والسكوت والزوال أمران معقولان الثالث أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة واستعارة القسطاس للعدل وكقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر استعارة كناية عما أوحي اليه كظهور ما في الزجاجة عند انصداعها وكل خوض في القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض في الماء وكل ما فيه من الظلمات والنور فهو مستعار وقوله تعالى ويبغونها عوجا العوج مستعار وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون الوادي والهيمان مستعاران وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين جعل لهما قولا وطاعة الرابع أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على التأويل المذكور في التشبيه كقوله تعالى اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ فالشهيق والغيظ مستعاران وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها

﴿فصل في جيد الاستعارة ومتوسطها ورديئها من حيث الجملة﴾ قال أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي وقد اختار أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي من جملة الاستعارة قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال ان هذه الاستعارة في غاية الحسن لانه انما قصد وصف أحوال الليل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف أعجازه وأواخره شيأ فشيأ وقال الخفاجي وهذا الذي ذكره أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ولو كنت أسكن الى تقليد أحد من علماء هذه الصناعة لقلدته لحسن نظره وصحة فكره وهو عندي من الوسط ليس من جيد الاستعارة ولا من رديئها وانما قلت ذلك لان أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وجعل الكلكل من أجل نهوضه وكل هذا انما يحسن بعضه لأجل بعض فذكر الصلب انما حسن لاجل العجز والتمطي لأجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه الاستعارة المبنية على غيرها فلذلك لم أر أن تجعل من أبلغ الاستعارات وكانت استعارة طفيل الغنوي في قوله

وجعلت رحلي فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

أوفق وأوضح لانها غنية بنفسها غير مفتقرة الى مقدمة حليتها وكذلك قول ذي الرمة

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى * وكف الثريا في ثلاثة الفجر

وقال وقد كنت مثلت في بعض مواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول ابن نباتة

معقول الشئ معقول لاشتراكهما فى وصف عدمى أو ثبوتى وأحدهما أكمل من ذلك الوصف فينزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود اذا اشتركا فى عدم الفائدة أو استعارة اسم الوجود للعدم اذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما فى عدم الادراك والعقل وكقولهم فلان لقى الموت اذا لقى الشدائد لاشتراكهما فى المكروهية وقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب والسكوت والزوال أمران معقولان الثالث أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذى هو محسوس للحجة واستعارة القسطاس للعدل وكقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر استعارة كناية عما أوحى اليه كظهور ما فى الزجاجة عند انصداعها وكل خوض فى القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض فى الماء وكل ما فيه من الظلمات والنور فهو مستعار وقوله تعالى ويبغونها عوجا العوج مستعار وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون الوادى والهيمان مستعاران وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين جعل لهما قولا وطاعة الرابع أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على التأويل المذكور فى التشبيه كقوله تعالى اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ فالشهيق والغيظ مستعاران وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها

﴿فصل فى جيد الاستعارة ومتوسطها ورديئها من حيث الجملة﴾ قال أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجى وقد اختار أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى من جملة الاستعارة قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال ان هذه الاستعارة فى غاية الحسن لانه انما قصد وصف أحوال الليل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف أعجازه وأواخره شيأ فشيأ وقال الخفاجى وهذا الذى ذكره أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ولو كنت أسكن الى تقليد أحد من علماء هذه الصناعة لقلدته لحسن نظره وصحة فكره وهو عندى من الوسط ليس من جيد الاستعارة ولا من رديئها وانما قلت ذلك لان أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وجعل الكلكل من أجل نهوضه وكل هذا انما يحسن بعضه لاجل بعض فذكر الصلب انما حسن لاجل العجز والتمطى لاجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه الاستعارة المبنية على غيرها فلذلك لم أر أن تجعل من أبلغ الاستعارات وكانت استعارة طفيل الغنوى فى قوله

وجعلت رحلى فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

أوفق وأوضح لانها غنية بنفسها غير مفتقرة الى مقدمة حليتها وكذلك قول ذى الرمة

أقامت به حتى غدا العود فى الثرى * وكف الثريا فى ملاءته الفجر

وقال وقد كنت مثلت فى بعض مواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول ابن نباتة

قال فيه دلالة على تنعمها وأن لها من يخدمها ولا تشد نطاقها للخدمة وكقول ابي الاخيلية

ويخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الجود بخرق القميص بجذب العفاة له عند ازدحامهم لاخذ العطاء وكقول الحضرمي

قد كان يعجب بعضهن براعتي * حتى رأين تنحنحي وسعالي

كنى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال والكناية تكون في المثبت كما ذكرنا وقد تكون في الاثبات وهي ما اذا حاولوا اثبات معنى من المعاني لشئ فيتركون التصريح باثباته له ويثبتونه لما له به تعلق كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه وقوله

ان المروءة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

ونظيره قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج

أصبح في قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب

وقال الجرجاني مكان القيد ههنا هو مكان القبة في البيت المتقدم ومثله في النفي قول الشاعر يصف امرأة بالعفة

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها * اذا ما بيوت بالملامة حلت

وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان الغرض منهما واحد وكل واحدة منهما أصل بنفسها كقوله

وما يك في من عيب فاني * جبان الكلب مهزول الفصيل

واعلم أن الكناية ليست من المجاز لانك تعتبر في ألفاظ الكناية معانيها الاصلية وتفيد بمعانيها معنى ثانيا هو المقصود فتريد بقولك كثير الرماد حقيقته وتجعل ذلك دليلا على كونه جوادا فالكناية ذكر الرديف وارادة المردوف وأما التعريض فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر كقولك ما أقبح البخل تعرض له بأنه بخيل وكقول الحماسي

أنا ابن زبانة ان تلقني * لا تلقني في النعم العازب

يعرض بأنه راع وكقول محمد بن عبد الله بن الحسن لم تعرف في أمهات الاولاد يعرض بالمنصور وأنه ابن أمة وأما التمثيل فانما يكون من باب المجاز اذا جاء على حد الاستعارة مثاله قولك للمتحير فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى فلو قلت انه في تحيره كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز وكذلك قولك لمن اخذ في عمل لا يحصل منه مقصودا أراك تنفخ في غير ضرم وتخط على الماء وما زال يفتل في الذروة والغارب لمن يبلغ مراده برفق كالرجل يجيء الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يأنس به والفرق بين الاستعارة والتمثيل ان الاستعارة تجيء في المفرد والجمل والتمثيل لا يجيء الا في الجمل خاصة

﴿فصل﴾ قال الامام عبد القاهر الجرجاني اعلم ان من شأن هذه الاجناس أن تتفاوت التفاوت الشديد ألا ترى انك تجد في الاستعارة العامي المبتذل كقولك رأيت أسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى عليه الا أفراد الرجال كقوله

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطح

أراد أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة

في هذه اللفظة بعينها قول الآخر

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب ولا نازل خطب إلا أتوه فكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها * ومن بديع الاستعارة ونادرها قول يزيد بن مسلمة يصف فرسه وأنه مؤدب وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه على قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه

عودته فيما أزور حبائبي * إهماله وكذاك كل مخاطر

وإذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم إلى انصراف الزائر

فالغرابة ههنا في الشبه نفسه وفي الاستدلال على أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي قال ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي مثاله أنك تنظر إلى لفظة الجسر في قول أبي تمام

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته * بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

وقوله تؤمل الراحة الكبرى فلم ترها * تنال إلا على جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقي

قولي نعم ونعم إن قلت واجبة * قالت عسى وعسى جسر إلى نعم

انتهى كلامه وكذلك الحكم في الكناية فإنهم أجمعوا على أن الكناية أبلغ من التصريح لأنك إذا أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي معها شاهد ودليل فذلك أبلغ من إثباتها بنفسها فأما التمثيل الذي يقع من أقسام المجاز فحكمه حكم الاستعارة لأنك إذا قلت للمتحير في أمره أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فأوجبت الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ في الظاهر من أن تقول أراك مترددا في أمرك فأنت كمن يقول أخرج أو لا أخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى ومما يكشف هذا أن العقلاء اتفقوا على أن التشبيه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها جمالا وزادها كمالا وإن أردت أن ترى له شاهدا فانظر إلى قول البحتري

دان على أيدي العفاة وشاسع * عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه * للعصبة السارين جد قريب

وإلى قول السري الرفا

أصبحت أظهر شكرا من صنائعه * وأضمر الود فيه أي إضمار

كشامخ النخل يبدي للعيون جنى * طلعا نضيدا ويخفي غض جمار

فإنك تجد في البيت الآخر منهما ما لم تجده في الأول وتجد الفرق بين ما لو اقتصرت على قولك فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ويحصل في تعلمها التعب ولا يفهم شيئا وبين أن تتلو بعده قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية وكذلك يفصل بين أن يقول أرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر وبين أن يتبعه قول ابن لنكك

في هذه اللفظة بعينها قول الآخر

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون الى نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب الا أتوه فكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من هاهنا وهاهنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها * ومن بديع الاستعارة ونادرها قول يزيد بن مسلمة يصف فرسه وانه مؤدب وانه اذا نزل عنه وألقى عنانه على قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه

عودته فيما أزور حبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فالغرابة هاهنا في الشبه نفسه وفي الاستدلال على أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي قال ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي مثاله أنك تنظر الى لفظة الجسر في قول أبي تمام

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته * بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

وقوله

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها * تنال الا على جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ثم تنظر اليها في قول ربيعة الرقي

قولي نعم ونعم ان قلت واجبة * قالت عسى وعسى جسر الى نعم

انتهى كلامه وكذلك الحكم في الكناية فقد أجمعوا على أن الكناية أبلغ من التصريح لانك اذا أثبت كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي معها شاهد ودليل فذلك أبلغ من اثباتها بنفسها فأما التمثيل الذي يقع من أقسام المجاز فحكمه حكم الاستعارة لانك اذا قلت للمتحير في أمره أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فأوجبت الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ في الظاهر من أن تقول أراك مترددا في أمرك فأنت كمن يقول أخرج ولا أخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى ومما يكشف هذا أن العقلاء اتفقوا على أن التشبيه اذا جاء في أعقاب المعاني أفادها جمالا وزادها كمالا وان أردت أن ترى له شاهدا فانظر الى قول البحتري

دان على أيدي العفاة وشاسع * عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه * للعصبة السارين جد قريب

والى قول السري الرفا

أصبحت أظهر شكرا من صنائعه * وأضمر الود فيه أي اضمار

كشامخ النخل يبدي للعيون ضحى * طلعا نضيدا ويخفي غض جمار

فانك تجد في البيت الآخر منهما ما لا تجده في الاول وتجد الفرق بين ما لو اقتصرت على قولك فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ويتحمل في تعلمها التعب ولا يفهم شيئا وبين أن تتلو بعده قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية وكذلك يفصل بين أن يقول أرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر وبين أن يتبعه قول ابن لنكك

المنطلق والمنطلق زيد قال الجرجاني قال صاحب الكتاب كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم مثاله أن الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يبالون من صدر القتل منه وأراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لانه يعلم أن قتل الخارجي هو الذي يعنيهم وان كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم المخبر ذكر الفاعل فيقول قتل زيد رجلا لاعتقاد الناس في المذكور خلاف ذلك انتهى كلام الجرجاني ولنذكر منه ثلاثة مواضع يعرف بها ما لم يذكر (الاول الاستفهام) فاذا أدخلته على الفعل وقلت أضربت زيدا كان الشك في وجود الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل وهكذا حكم النكرة فاذا قلت أجاءك رجل كان المقصود هل وجد المجيء من رجل فاذا قلت أرجل جاءك كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من انسان وقس عليه الخبر في قولك ضربت زيدا وزيدا ضربت وجاءني رجل تميمي ورجل تميمي جاءني ثم الاستفهام قد يجيء للانكار فان كان في الكلام فعل ماض وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره كقوله تعالى أصطفى البنات على البنين وان أدخلته على الاسم فان لم يكن الفعل مرددا بينه وبين غيره كان لانكار انه الفاعل ويلزم منه نفي ذلك الفعل كقوله تعالى آلله أذن لكم أي لو كان اذن لكان من الله فلما لم يوجد منه دل على أن لا اذن كما تقول متى كان هذا في ليل أو نهار أي لو وجد كان في ليل أو نهار فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا وعليه قوله تعالى آلذكرين حرم أم الانثيين وان كان مرددا بينه وبين غيره كان اما للتقرير والتوبيخ وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم واما لانكار انه الفاعل مع تحقيق الفعل كقولك لمن انتحل شعرا أأنت قلت هذا وان كان الفعل مضارعا فان أدخلت حرف الاستفهام عليه كان اما لانكار وجوده كقوله تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون أو لانكار أنه يقدر على الفعل كقول امرئ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

أو لازالة طمع من طمع في أمر لا يكون فيجهله في طمعه كقولك أيرضى عنك فلان وأنت على ما يكره أو لتعنيف من يضيع الحق كما قال الشاعر

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

أو لتقديم الفاعل كما تقول لمن يركب الخطر أتركب في هذا الوقت وان أدخلته على الاسم فهو لانكار صدور الفعل من ذلك الفاعل اما للاستحقار كقولك أأنت تمنعني أو للتعظيم كقولك أهو يسأل الناس أو للمبالغة اما في كرمه كقولك أهو يمنع سائله واما في خساسته كقولك أهو يسمح بمثل هذا وقد يكون لبيان استحالة فعل ظن ممكنا كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي وكذلك اذا أدخلته على المفعول كقوله تعالى أغير الله أتخذ وليا وأغير الله تدعون وأبشرا منا واحدا نتبعه لانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع (الثاني في التقديم والتأخير في النفي) اذا أدخلت النفي على الفعل فقلت ما ضربت زيدا فقد

نفيت عن نفسك الضرب بواقع على زيد وهذا لا يقتضي كون زيد مضروبا واذا أدخلته على الاسم
فقلت ما أنا ضربت زيدا اقتضى من باب دليل الخطاب كون زيد مضروبا وعليه قول المتنبي

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ولهذا يصح أن تقول ما ضربت الا زيدا وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس ولا يصح أن
تقول ما أنا ضربت الا زيدا وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس أما الاول فلأن نقض
النفي بالا يقتضي أن يكون ضربت زيدا وتقديم الضمير وايلاؤه حرف النفي يقتضي أن يكون ضربه
غيرك فيتدافعان وفيه نظر وأما الثاني فلأن أول الكلام يقتضي أن يكون زيد مضروبا وآخره
يقتضي أن لا يكون مضروبا فيتناقضان اذا عرفت هذا من جانب الفاعل فانه مثله في جانب
المفعول فاذا قلت ما ضربت زيدا لم يقتض أن يكون ضاربا لغيره واذا قلت ما زيدا ضربت
اقتضى ذلك ولهذا صح ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح ما زيدا ضربت ولا أحدا من
الناس وحكم الجار والمجرور حكم المفعول فاذا قلت ما أمرتك بهذا لم يقتض أن يكون قد
أمرته بشيء غير هذا واذا قلت بهذا أمرتك اقتضاه واذا قدمت صيغة العموم على السلب
وقلت كل ذلك لم أفعله برفع كل كان نفيا عاما ويناقضه الاثبات الخاص فلو فعلت بعضه كنت
كاذبا وان قدمت السلب وقلت لم أفعل كل ذلك كان نفيا للعموم ولا ينافي الاثبات الخاص
فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كل ونصبه في قول أبي النجم

قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع

فان رفعته كان النفي عاما واستقام غرض الشاعر في تبرئة نفسه من جملة الذنوب وان نصبته
كان النفي نفيا للعموم وهو لا ينافي اتيانه ببعض الذنب ولا يتم غرضه * الثالث في التقديم
والتأخير في الخبر المثبت ما تقدم في الاستفهام والنفي قائم ههنا فاذا قدمت الاسم وقلت زيد
فعل وأنا فعلت فالقصد أن الفاعل اما التخصيص بذلك الفعل به كقولك أنا شفعت في شأنه مدعيا
الانفراد بذلك واما تأكيد اثبات الفعل له لا للحصر كقولك هو يعطي الجزيل ليتمكن في
نفس السامع ان ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ومنه قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة
لا يخلقون شيأ وهم يخلقون فانه ليس المراد تخصيص المخلوقية بهم وقوله تعالى واذا جاؤكم
قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكقول درنا بنت عبعبة

هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

وقول الآخر هم يفرشون اللبد كل طمرة * وأجرد سباح يبذ المغاليا

والسبب في هذا التأكيد أنك اذا قلت مثلا زيد فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل
للسامع تشوف الى معرفته فاذا ذكرته قبلته النفس قبول العاشق معشوقه فيكون ذلك أبلغ في
التحقيق ونفي الشك والشبهة ولهذا تقول لمن تعده أنا أعطيك أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الامر
وذلك اذا كان من شأن من سبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه ولذلك يقال في المدح أنت
تعطي الجزيل أنت تجود حين لا يجود أحد ومن ههنا تعرف الفخامة في الجمل التي فيها ضمير
الشأن والقصة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكقوله

تعالى انه لا يفلح الكافرون وأن فيها ما ليس في قولك فان الابصار لا تعمى وان الكافرين لا يفلحون وهذا الكلام في الخبر المنفي فاذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أبلغ من أن تقول لا تحسن هذا فالاول لمن هو أشد اعجابا بنفسه وأكثر دعوى بأنه يحسن (واعلم) أنه قد يكون تقديم الاسم كاللازم وهو مثل في نحو قوله

يا عاذلي دعني من عذلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي

مثلك يثني الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس مثلك يرعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يريد القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه الانسان سوى الذي أضيف اليه وجيء به للمبالغة والمعنى أن من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس أن يفعل ما ذكر فكيف به وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى فقال

ولم أقل مثلك أعني به * سواك يا فردا بلا مشبه

وكذلك حكم غير اذا سلك فيه هذا المسلك كقول المتنبي

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

أي لست ممن ينخدع ويغتر ولو لم يقدم مثلا وغيرا في هذه الصور لم يرد هذا المعنى ويقرب من هذا تقديم بعض المفعولات على بعض في نحو قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي أن يكون لله شركاء لا من الجن ولا من غيره لان شركاء مفعول ثان لجعلوا ولله متعلق به والجن مفعوله الاول فقد جعل الانكار على جعل الشريك لله على الاطلاق من غير اختصاص بشيء دون شيء لان الصفة اذا ذكرت مجردة عن مجراها على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت قد نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكريم صفة له وحكم الانكار أبدا حكم النفي فاما اذا أخرت شركاء فقلت وجعلوا الجن شركاء لله فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالانكار جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقدم شركاء نفيا لهذا الاحتمال

﴿فصل في مواضع التقديم والتأخير﴾ أما التقديم فيحسن في مواضع الاول أن تكون الحاجة الى ذكره أشد كقولك قطع اللص الامير الثاني أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فانه أشكل بما بعده وهو قوله ان الله سريع الحساب وبما قبله وهو مقرنين في الاصفاد الثالث أن يكون أعرف أو أشد تعلقا بما بعده كقولك زيد قام وقام زيد وزيد الطويل الرابع أن يكون من الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي فان الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده الخامس تقديم الكلي على جزئياته فان الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف فان الوجود لما كان أعم الامور كان أعرفها عند العقل السادس تقديم الدليل على المدلول وأما التأخير فيحسن في مواضع الاول تمام الاسم كالصلة

تعالى انه لا يفلح الكافرون وأن فيه ما ليس في قولك فان الابصار لا تعمى وان الكافرين لا يفلحون وهذا الكلام في الخبر المنفي فاذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أبلغ من أن تقول لا تحسن هذا فالاول لمن هو أشد اعجابا بنفسه وأكثر دعوى بأنه يحسن (واعلم) أنه قد يكون تقديم الاسم كاللازم وهو كمثل في نحو قوله

ياعاذلي دعني من عذلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي مثلك يثني الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس مثلك رعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يريد القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه الانسان سوى الذي أضيف اليه وجيء به للمبالغة والمعنى أن من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس أن يفعل ما ذكر فكيف به وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى فقال

ولم أقل مثلك أعني به * سواك يا فردا بلا مشبه

وكذلك حكم غير اذا سلك فيه هذا المسلك كقول المتنبي

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

أي لست ممن ينخدع ويغتر ولو لم يقدم مثلا وغيرا في هذه الصور لم يرد هذا المعنى ويقرب من هذا تقديم بعض المفعولات على بعض في نحو قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي أن يكون لله شركاء لا من الجن ولا من غيره لان شركاء مفعول ثان لجعلوا ولله متعلق به والجن مفعوله الاول فقد جعل الانكار على جعل الشريك لله على الاطلاق من غير اختصاص بشيء دون شيء لان الصفة اذا ذكرت مجردة عن مجراها على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت قد نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكريم صفة له وحكم الانكار أبدا حكم النفي فأما اذا أخرت شركاء فقلت وجعلوا الجن شركاء لله فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالانكار جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقدم شركاء نفيا لهذا الاحتمال

﴿فصل في مواضع التقديم والتأخير﴾ أما التقديم فيحسن في مواضع الاول أن تكون الحاجة الى ذكره أشد كقولك قطع اللص الامير الثاني أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فانه أشكل بما بعده وهو قوله ان الله سريع الحساب وبما قبله وهو مقرنين في الاصفاد الثالث أن يكون أعرف أو أشد تعلقا بما بعده كقولك زيد قام وقام زيد وزيد الطويل الرابع أن يكون من الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي فان الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده الخامس تقديم الكلي على جزئياته فان الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف فان الوجود لما كان أعم الامور كان أعرفها عند العقل السادس تقديم الدليل على المدلول وأما التأخير فيحسن في مواضع الاول تمام الاسم كالصلة

والمضاف

وقوله انما نحن مستهزءون متضمن له وكذلك قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا لم يقل وكأن لان المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقرا هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا أن الثاني أبلغ لان من لا يصح السمع منه أبلغ في عدم الانتفاع بالكلام من حال من يصح عليه ذلك وأما قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فهو يحتمل أن يكون تأكيدا لقوله ما هذا بشرا من حيث ان المرتفع عن البشرية من المخلوقات ليس الا الملك ولان الناس اذا شاهدوا في الانسان من الخلق الحسن والخلق الجميل ما تعجبوا منه قالوا ما هذا بشر وكان غرضهم أن يقولوا انه ملك فاذا كان ذلك مفهوما قبل التصريح به كان التصريح به تأكيدا ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن لا محالة دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملكية على الخصوص فان القسمة غير منحصرة في القسمين وجعله ملكا تعيين لذلك الجنس وتمييز له عن غيره * ومما جاء فيه الاثبات بان والا على هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالاثبات في الآيتين جميعا تأكيد لنفي ما نفي القسم الثاني أن يكون بين الجملتين تعلق ذاتي فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا لان العطف للتشريك ولا تشريك ومن ههنا عابوا على أبي تمام قوله في البيت المتقدم

لا والذي هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم

اذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين ولذلك لم يحسن جواز العاطف وان كان بينهما مناسبة فاما أن يكون بالذي أخبر بهما أو بالذي أخبر عنهما أو بهما كليهما وهذا الاخير هو المعتبر في العطف ومعنى المناسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمرو أو متضادين تضادا على الخصوص كقولك زيد طويل وعمرو قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح ولو قلت زيد طويل والخليفة قصير اختل معنى عند ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل لفظا اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر وان كان المحدث عنه في الجملتين شيأ واحدا كقولك فلان يقول ويفعل ويضر وينفع ويأمر وينهى ويسيء ويحسن يجب ادخال العاطف فان الغرض جعله فاعلا للامرين فلو قلت يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثاني رجوع عن الاول واذا أفاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك كقولك العجب من انك أحسنت وأسأت والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتي مثله وكقوله

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

فان المعنى جعل الفعلين في حكم واحد أي لا تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا واعلم أنه قد يجب اسقاط العاطف في بعض المواضع لاختلال المعنى عند اثباته كقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون فقوله ألا انهم هم المفسدون كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو لكان اخبارا عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى وكذلك قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء وكذلك قوله تعالى واذا

وقوله إنما نحن مستهزؤن متضمن له وكذلك قوله تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا ولم يقل وكأن لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو
بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع إلا أن الثاني أبلغ لأن حال من لا يصح السمع منه أبلغ في
عدم الانتفاع بالكلام من حال من يصح عليه ذلك وأما قوله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا
ملك كريم فيحتمل أن يكون تأكيدا لقوله ما هذا بشرا من حيث أن المرتفع عن البشرية
من المخلوقات ليس إلا الملك ولأن الناس إذا شاهدوا في الإنسان من الخلق الحسن والخلق
الجميل ما يعجبوا منه قالوا ما هذا بشر وكان غرضهم أن يقولوا إنه ملك فلما كان ذلك مفهوما قبل
التصريح به كان التصريح به تأكيدا ويحتمل أن يكون مقررا له فإن إخراجه عن جنس البشرية
يتضمن لا محالة دخوله تحت جنس آخر لا ثبوت الملكية على الخصوص فإن القسمة غير منحصرة
في القسمين وجعله ملكا تعيين لذلك الجنس وتمييز له عن غيره * ومما جاء فيه الإثبات بإن وإلا على
هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين وقوله وما ينطق عن
الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالإثبات في الآيتين جميعا تأكيد للنفي في ما نفي القسم الثاني أن
يكون بين الجملتين تعلق ذاتي فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا لأن العطف
للتشريك ولا تشريك ومن ههنا عابوا على أبي تمام قوله في البيت المتقدم

لا والذي هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم

إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين ولذلك لم يحسن جواز العاطف وإن كان
بينهما مناسبة فإما أن يكون بالذي أخبر بهما أو بالذي أخبر عنهما أو بهما كليهما وهذا الأخير
هو المعتبر في العطف ومعنى المناسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمرو شاعر أو متضادين
تضادا على الخصوص كقولك زيد طويل وعمرو قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح فلو قلت
زيد طويل والخليفة قصير اختل معنى عندما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة ولو قلت زيد طويل
وعمرو شاعر اختل لفظا إذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر وإن كان المحدث عنه في الجملتين
شيئا واحدا كقولك فلان يقول ويفعل ويضر وينفع ويأمر وينهى ويسيء ويحسن يجب
إدخال العاطف فإن الغرض جعله فاعلا للأمرين فلو قلت يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن
الثاني رجوع عن الأول وإذا أفاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك كقولك العجب من
أنك أحسنت وأسأت والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتي مثله وكقوله

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعل الفعلين في حكم واحد أي لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إياكم يوجد مع إهانتكم
إيانا واعلم أنه قد يجب إسقاط العاطف في بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله
تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون فقوله
ألا إنهم هم المفسدون كلام مستأنف وإخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو لكان إخبارا من
اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى وكذلك قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا
كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء وكذلك قوله تعالى وإذا

معه بالواو تقول جاءني زيد يضحك وجاء عمرو يسرع وجلس يحدثنا بالرفع أي محدثا لنا لانه بتجرده عما يغير معناه أشبه اسم الفاعل اذا وقع حالا وان كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لاصل الفعل الذي هو الايجاب وجاز اثباتها لان الفعل ليس هو الحال فان معنى قولك جلس زيد ولم يتكلم جلس زيد غير متكلم فجرى مجرى الجملة الاسمية في الحذف كقولك جاء زيد ما فوه بمفتشفة قال الله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قوله لا يمسنا في موضع نصب على الحال من ضمير المرفوع في أحلنا والاثبات كقولك جلس زيد ولم يتكلم قال تعالى أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن كلام لبيد لابنته فقد رأيتني وما أعيي بجواب شاعر وشبهوا به الفعل الماضي فقالوا جاء زيد ماضرب عمرا وجاء زيد وماضرب عمرا

(القول في الحذف والاضمار)

اعلم أن الافعال المتعدية التي يترك ذكر مفعولاتها على قسمين الاول أن لا يكون له مفعول معين فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويجعل حاله كحال غير المتعدي كقولهم فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع والمقصود اثبات المعنى في نفسه للشيء من غير تعرض لحديث المفعول فكأنك قلت بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي وضر ونفع وعليه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير أن ينص على معلوم وكذلك قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى الى قوله وأنه هو أغنى وأقنى وبالجملة فمتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعد الفعل فان تعديته تنقص الغرض ألا ترى أنك اذا قلت فلان يعطي الدنانير كان المقصود بيان جنس ما تناوله الاعطاء لا بيان حال كونه معطيا الثاني أن يكون له مفعول معلوم الا انه يحذف من اللفظ لاغراض الاول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك الفعل دأبه لا بيان المفعول كقول طفيل

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقي الذي لاقوه منا لملت

هم خلطونا بالنفوس وألجؤا * الى حجرات أدفأت وأظلت

والاصل أن يقول ألجؤنا وأدفأتنا وأظلتنا فحذف المفعول المعين من هذه المواضع الاربعة وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه كما تقول قد مل فلان تريد قد دخل عليه الملال من غير أن تخص شيأ بل لا تريد على أن تجعل الملال من صفته فكذلك الشاعر جعل هذه الاوصاف من ذاتهم ولو أضاف الى مفعول معين ابطل هذا الغرض وعليه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين الى قوله فسقى لهما فقد حذف المفعول في أربعة مواضع فان ذكره ربما يخل بالمقصود فلو قال مثلا يذودان غنمهما لتوهم أن الانكار انما كان من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود كقولك مالك تمنع أخاك فان الانكار من منع الاخ لا من مطلق المنع الثاني أن يكون المقصود ذكره الا أنك لا تذكره ايهاما أنك لا تقصد ذكره كقول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه * أن يرى مبصر ويسمع واع

المعنى أن يرى مبصر محاسنه وأن يسمع واع أخباره ولكنه تغافل عن ذلك ابدا لان فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل فليس لحاسده وعداه أشجى من علمهم بأن ههنا مبصرا وسامعا الثالث أن يحذف لكونه بينا كقولهم أصغيت اليك أى أذنى وأغضيت عليك أى جفنى

(فصل فى حذف المبتدا والخبر) قد يحسن حذف المبتدا حيث يكون الغرض أنه قد بلغ فى استحقاق الوصف بما جعل وصفا له الى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس الا له سواء كان فى نفسه كذلك أو بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة فذكره يبطل هذا الغرض ولهذا قال عبد القاهر ما من اسم يحذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها الا وحذفه أحسن من ذكره فمن حذف المبتدا قوله تعالى سورة أنزلناها وفرضناها أى هذه سورة وقول الشاعر

لا يبعد الله التلبب والغارات اذ قال الخميس نعم * أى هذه نعم قال عبد القاهر ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدا بالقطع والاستئناف أنهم يبدؤن بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الاول فيستأنفون كلاما آخر واذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الامر بخبر من غير مبتدا امثال ذلك

وعلمت انى يوم ذاك منازل كعبا ونهدا * قوم اذا لبسوا الحديد تمروا حلقا وقدا

وقول الحطيئة هم حلوا من الشرف المعلى * ومن حسب العشيرة حيث شاؤا

أساة مكارم وأساة كلم * دماؤهم من الكلب الشفاء

وقول الحماسى وانى على ما بى عميد فأشتكى * الى ماله حالى أسر كما جهر

غلام رماه الله بالخير مقبلا * له سيمياء ما تشق على البصر

وأمثلته كثيرة ومن حذف الخبر قوله تعالى لولا أنتم لكنا مؤمنين أى لولا أنتم مضلونا وقول عمر رضى الله عنه لولا على لهلك عمر أى لولا على حاضر أو مفت ومما يحتمل الامرين قوله تعالى طاعة وقول معروف وقوله تعالى فصبر جميل

(فصل) الاضمار على شريطة التفسير كقولك أكرمنى وأكرمت عبد الله أى أكرمنى عبد الله وأكرمت عبد الله ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت بعد لو فان كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالاولى ذكره كقوله

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فان بكاء الانسان دما عجيب وان لم يكن كذلك فالاولى حذفه كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى والتقدير ولو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم وكذلك قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ومن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم واعلم أنه قد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة كقول البحترى

قد طلبنا فلم نجد لك فى السودد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لان هذا المدح انما يتم بنفى المثل فلو قال قد طلبنا لك مثلا فى

السؤدد والمجد فلم تجده لمكان قد أوقع نفي الوجود على شعر المثل فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح الشعر فان الكناية لا تبلغ مبلغ الصريح ولو قد الوقلت وبالحق أنزلناه وبه نزل وقل هو الله أحد وهو الصمد لم تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقل هو الله أحد الله الصمد وعلى ذلك قول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(القول في مباحث ان وانما)

أما ان فلها فوائد الاولى انها تربط الجملة الثانية بالاولى وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرغا افراغا واحدا ولو أسقطتها كان الثاني نابيا عن الاول كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في كلام واحد كقوله تعالى وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ثم متى أسقطت ان من الجملة التي أدخلتها عليها فان كانت الجملة الثالثة انما تذكر لاظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة احتيجت الى الفاء والا فلا كما في قوله تعالى ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام أمين فلو قلت فالمتقون لم يكن كلاما وكذلك قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فقوله ان الله يفصل بينهم في موضع خبر ان فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدا وهو غير جائز الثانية انها تهيئ ضمير الشان والقصة في الجملة الشرطية مع ان من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وقوله انه لا يفلح الظالمون الثالثة انها تهيئ النكرة وتصلحها لان تحدث عنها كقوله

ان شواء ونشوة * وخبب البازل الامون

فلولا هي لم يكن كلاما وان كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح كقول حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

الرابعة انها تغني عن الخبر كما اذا قيل لك الناس ألب عليكم فهل لكم أحد فقلت ان زيدا وان عمرا أي لنا قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا * وان في السفر اذ مضوا مهلا

الخامسة قال المبرد اذا قلت عبد الله قائم فهو اخبار عن قيامه فاذا قلت ان عبد الله قائم فهو جواب عن سؤال السائل فاذا قلت ان عبد الله لقائم فهو جواب عن انكار منكر لقيامه سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضرين والدليل على أن ان انما تذكر لجواب السائل انهم ألزموها الجملة من المبتدا والخبر نحو والقسم ان زيدا لمنطلق فالحاجة انما تدعو الى ان اذا كان

للسامع

السورة والجحد فيه لم يجده لكان قد أوقع نفي الوجود على تعبير المثل فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المثل فان الكناية لا تبلغ مبلغ الصريح ولو قلت وبالحق أنزلناه وبه نزل وقل هو الله أحد وهو الصمد لم تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقل هو الله أحد الله الصمد وعلى ذلك قول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(القول في مباحث ان وانما)

أما ان فلها فوائد الأولى انها تربط الجملة الثانية بالأولى وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرغا افراغا واحدا ولو أسقطتها كان الثاني نائيا عن الأول كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في كلام واحد كقوله تعالى وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ثم متى أسقطت ان من الجملة التي أدخلتها عليها فان كانت الجملة الثانية انما تذكر لاظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة احتجت الى الفاء والا فلا كما في قوله تعالى ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام أمين فلو قلت فالمتقون لم يكن كلاما وكذلك قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فقوله ان الله يفصل بينهم في موضع خبر ان فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدا وهو غير جائز الثانية انك ترى لضمير الشأن والقصة في الجملة الشرطية مع ان من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وقوله انه لا يفلح الظالمون الثالثة انها تهيئ النكرة وتصلحها لان يحدث عنها كقوله

ان شواء ونشوة * وخبب البازل الأمون

فلولا هي لم يكن كلاما وان كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أحسن كقول حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

الرابعة انها تغني عن الخبر كما اذا قيل لك الناس ألب عليكم فهل لكم أحد فقلت ان زيدا وان عمرا أي لنا قال الأعشى

ان محلا وان مرتحلا * وان في السفر اذ مضوا مهلا

الخامسة قال المبرد اذا قلت عبد الله قائم فهو اخبار عن قيامه فاذا قلت ان عبد الله قائم فهو جواب عن سؤال السائل فاذا قلت ان عبد الله لقائم فهو جواب عن انكار منكر لقيامه سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضرين والدليل على أن انما تذكر لجواب السائل انهم ألزموها الجملة من المبتدا والخبر نحو قولك ان زيدا المنطلق فالحاجة انما تدعو الى ان اذا كان

فالمقصود المنصوب واذا قلت ما ضرب الا زيد عمرا فالاختصاص بالضارب واذا قلت ما ضرب الا زيدا عمرو فالاختصاص بالمضروب واذا قلت لم أكس الا زيدا جبة فالمعنى تخصيص كسوة الجبة بين الناس بزيد وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جارا ومجرورا كقول السيد الحميري

لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا

وكذلك حكم المبتدا والخبر والفعل والفاعل كقولك ما زيد الا قائم وما قام الا زيد وأما انما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص فى الضارب وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشى منه فالاول أتم ومنه قول الفرزدق

انا الزائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلى

فان غرضه أن يخصص المدافع بأنه هو لا المدافع عنه ولو قال انما أنا أدافع عن أحسابكم توجه التخصيص الى المدافع عنه اذا أدخلت عليهما انما فان قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدا وان لم تقدمه فللخبر فاذا قلت انما هذا لك فالاختصاص فى لك بدليل أنك تقول بعده لا لغيرك وان قلت انما لك هذا فالاختصاص فى هذا بدليل أنك تقول بعده لا ذاك وعليه قوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك فالاختصاص فى الآية الاولى للبلاغ والحساب وفى الثانية فى الخبر الذى هو على الذين دون المبتدا الذى هو السبيل واذا وقع الفعل فالمعنى ان ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور لقوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب ثم قد يجتمع معه حرف النفى اماما متأخرا كقولك انما يجىء زيد لا عمرو وقال الله تعالى انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال لبيد

واذا جوزيت قرضا فاجزه * انما يجزى الفتى ليس الجمل

واما مقدما عليه كقولك ما جاءنى زيد وانما جاءنى عمرو فهنا لو لم تقل انما وقلت ما جاءنى زيد وجاءنى عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاآ جميعا واذا أدخلتها كان الكلام مع من غلط فى الجائى أنه زيد لا عمرو واعلم أن أقوى ما يكون انما اذا كان لا يراد بالكلام الذى بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه فانا نعلم انه ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن المراد ذم الكفار وأن يقال انهم انهم من فرط العناد فى حكم من ليس بذى عقل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب والتقدير ان من لم تكن له هذه الخشية فهو كمن لم يكن له أذن يسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار وهذا الغرض لا يحصل بدون انما لان من انباتها تضمين الكلام معنى النفى بعد الاثبات فاذا أسقطت لم يبق الا اثبات الحكم للمذكورين فلا يدل على نفى غيرهم الا أن يذكر فى معرض مدح الانسان بالتيقظ والكرم وأمثالهما كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم (تنبيه) كاد تقرب الفعل من الوقوع فنفيها ينفى القرب فان لم يكن فى الكلام دليل على الوقوع فقد نفى الوقوع ونفى القرب منه كقوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها ولم يقارب رؤيتها وكقول ذى الرمة

فالمقصود المنصوب واذا قلت ماضرب الا زيد عمرا فالاختصاص بالضارب واذا قلت ماضرب الا زيدا عمرو فالاختصاص بالمضروب واذا قلت لم أكس الا زيدا جبة فالمعنى تخصيص كسوة الجبة بين الناس بزيد وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جارا ومجرورا كقول السيد الحميري

لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا

وكذلك حكم المبتدا والخبر والفعل والفاعل كقولك ما زيد الا قائم وما قام الا زيد وأما انما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص في الضارب وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشي منه فالاول أتم ومنه قول الفرزدق

انا الذائد الحامي الذمار وانما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلي

فان غرضه أن يخص المدافع بأنه هو لا المدافع عنه ولو قال انما أنا أدافع عن أحسابكم توجه التخصيص الى المدافع عنه اذا أدخلت عليهما انما فان قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدا وان لم تقدمه فللخبر فاذا قلت انما هذا لك فالاختصاص في لك بدليل أنك تقول بعده لا لغيرك وان قلت انما لك هذا فالاختصاص في هذا بدليل أنك تقول بعده لا ذاك وعليه قوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك فالاختصاص في الآية الاولى للبلاغ والحساب وفي الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدا الذي هو السبيل واذا وقع الفعل فالمعنى ان ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور لقوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب ثم قد يجتمع معه حرف النفي اما متأخرا كقولك انما يجيء زيد لا عمرو وقال الله تعالى انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال لبيد

واذا جوزيت قرضا فاجزه * انما يجزي الفتى ليس الجمل

واما مقدما عليه كقولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو وفيه انك لو لم تقل انما وقلت ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاآ جميعا واذا أدخلتها كان الكلام مع من غلط في الجائي أنه زيد لا عمرو واعلم أن أقوى ما يكون انما اذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه فانا نعلم انه ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن المراد ذم الكفار ويقال انهم من فرط العناد في حكم من ليس بذي عقل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب والتقدير ان من لم تكن له هذه الخشية فهو كمن لم يكن له أذن يسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار وهذا الغرض لا يحصل بدون انما لان من اثباتها تضمين الكلام معنى النفي بعد الاثبات فاذا أسقطت لم يبق الا اثبات الحكم للمذكورين فلا يدل على نفي غيرهم الا أن يذكر في معرض مدح الانسان بالتيقظ والكرم وأمثالهما كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم (تنبيه) كاد تقرب الفعل من الوقوع فنفيها ينفي القرب فان لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فمفيد نفي الوقوع ونفي القرب منه كقوله تعالى لم يكد يراها أي لم يرها ولم يقارب رؤيتها وكقول ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

المعنى ان مفارقته حبها يقارب السكون فضلا عن ان يكون

القول في النظم

وهو عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلام وذلك ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو بان تنظر في كل باب الى قوانينه والفروق التي بين معاني اختلاف صيغه وتضع الحروف مواضعها وتراعي شرائط التقديم والتأخير ومواضع الفصل والوصل ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها وتعتبر الاصابة في طريق التشبيه والتمثيل وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم وان لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه الى ما بلغ وان سبب فساده ترك العمل بقوانين النحو واستعمال شيء في غير موضعه ثم الجمل الكثيرة اذا انتظمت نظما واحدا فهي على قسمين الاول ان لا يتعلق البعض بالبعض فلا يحتاج واضعه الى فكر وروية في استخراجه بل هو كمن عمد الى لآلئ فنظمها في سلك ومثاله قول الجاحظ جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبينك وبين الصدق سببا وكقول النابغة للنعمان يفاخر ابن أبي جفنة والله لأقفاؤك خير من وجهه ولشمالك خير من يمينه ولأخمصك خير من رأسه ولخطؤك خير من صوابه ولخدمك خير من قومه * وقال بعض البلغاء في وصف اللسان أداة تظهر حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يحصد الضغينة وهذا النظم لا يستحق الفضل الا بسلامة معناه وسلاسة ألفاظه اذ ليس فيه معنى دقيق لا يدرك الا بثاقب الفكر وربما ظن بالكلام انه من هذا الجنس ولا يكون منه كقول الشاعر

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

فان الحسن فيه ليس لمجرد الاستعارة بل لسياق الكلام من التقديم والتأخير ولهذا لو أزلت ذلك وقلت سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره فانه يذهب الحسن والحلاوة الثاني ان تكون الجمل المذكورة يتعلق بعضها ببعض وهناك تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن ثم ليس لهذا الباب قانون يحفظ فانما يجيء على وجوه شتى (منها) الايجاز وهو التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف وهو على ضربين أحدهما ايجاز قصر وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وكقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وكقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها فان الغرض فيها المبالغة في وصف الله تعالى نفسه بالقدرة عليهم مع حسن وضعه وقلة ألفاظه وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس وقوله عز من قائل ولكم في القصاص حياة وتنكير الحياة في الآية ايذانا بان شرعية القصاص رادعة عن الاقدام على القتل غالبا لا دائما كما قال فيه شفاء للناس حيث لم يكن يعم الجميع ولانه لو عرف لاقتضى ان تكون الحياة من أصلها بالقصاص وليس كذلك الثاني ايجاز حذف وهو الاستغناء

بالمذكور عما لم يذكر كقوله تعالى ولكن البر من اتقى تقديره ولكن البر بر من اتقى وقوله تعالى فانها من تقوى القلوب التقدير فانها من أفعال ذوى تقوى القلوب وقوله واسئل القرية وقوله تعالى ولو أن قرآ نا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى المعنى لكان هذا القرآ ن وهو جواب لو فحذف وهذا الباب كثير فى كتاب الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وانما يحسن اذا دل عليه الدليل كما قررناه (ومنها) التأكيد وهو تقوية المعنى وتقريره اما باظهار البرهان كقول قابوس

يا ذا الذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

أو بالعزيمة كقوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم وكقول الاشتر النخعى

وسلبت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

وقول أبى نواس أما والذى جعل المستهام * صديق السهاد عدو الكرى
لقد ذهبت مهجتى بالملا * لئن دمت منك على ما أرى

وقوله لا فرج الله عنى ان مددت يدى * اليه أسأله من حبك الفرجا
وقول أبى تمام أنطقنى أجد السبيل الى العزا * وجد الحمام اذن الى سبيلا
وقوله حرمت مناى منك ان كان ذا الذى * تقوله الواشون حقا كما قالوا

أو بالتكرار كقولهم الله الله والاسد الاسد وكقول الخادرية

أظاعنة وما تودعنا هند * وهند أتى من دونها النأى والبعد

وهذا فى التنزيل كثير والعلم فيه سورة الرحمن

(القول فى التجنيس)

التجنيس يتشعب شعبا كثيرة فمنه المستوفى التام وهو أن يجىء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى لا تفاوت فى تركيبهما ولا اختلاف فى حركاتهما كقول المعرى

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقول عبد الله بن طاهر وانى للثغر المخوف لكالئ * وللثغر يجرى ظلمه لرشوف
قال الجامى وهو أفضل تجنيس وقع لمحدث وقول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغا * والفضل فضل والربيع ربيع

ومنه قول الجاحظ يعاتب صديقا له يعاتب فى حرف و يعيد المودة على حرف وكقولهم زائر السلطان الجائر كزائر الليث الزائر وكقول البستى

سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

وقول الناشى لشؤون عينى فى البكا شؤون * وجفون عينك للبلاء جفون

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه

طارقلبي يوم ساروا فرقا * وسواء فاض دمعي أورقا
حار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى أورقا
بعدهم لا طل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا

والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى التجنيس المفروق كقولك كنت أطمع في تجريبك ومطايا الجهل تجري بك ومن النظم قوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا عرضت القول غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقول المطوعي

أنوكرم يقضي الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

لكن ههنا اختلاف بحركة وقلت في هذا النوع

ولم أر مثل بشر الروض لما * تلاقينا وبنت العامري
جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ريّ

(ومن أنواع المركب المرفو) وهو أن يجمع بين كلمتين احداهما أقصر من الاخرى فتضم الى القصيرة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنا التجنيس كقولهم يا مغرور أمسك وقس يومك بأمسك ويقرب منه قول البديع الهمداني ان لم يكن لنا حظ في درك درك فخلصنا من شرك شرك وقول الحريري ان أخلبت منا مبارك مبارك فخلصنا من معارك معارك ومن النظم قول البستي

فهمت كتابك يا سيدي * فهمت ولا عجب ان أهيما

وكقول الآخر تفرق قلبي في هواه فعنده * فريق وعندي شعبة وفريق
اذا طمعت نفسي أقول لها اسقني * وان لم يكن ماء لديك فريقي

وقول آخر بنيا بور سادات كرام * ترى أحلامهم أحلام عاد
اذا بدأوا بمعروف تمموه * وعادوا بعده أحلى معاد

وقريب منه قول الآخر

صفت لك فينا نعمتان وخصتا * حديثهما حتى القيامة ينشر
وجودك والدنيا اليك فقيرة * وجودك والمعروف في الناس ينكر

ومنه قول الشاعر

ذو راحة وكفت ندى وكفت ردى * وقضت بهلك عداته وعداته
كالغيث في ارواته ورواته * والليث في وثباته وثباته

(ومنه المزدوج) ويقال له التجنيس المردد والمكرر أيضا وهو أن يأتي في أواخر الاسجاع وقوافي الابيات بلفظتين متجانستين احداهما ضميمة الاخرى وبعضها كقولهم الشراب بغير

النغم غم ويغير المسم تم وقول البستي

أبا العباس لا تحسب لشيبي * بأني من حلى الاشعار عار
فلي طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جار
اذا ما كبت الادوار زندا * فلي زند على الادوار وار

ومن أجناس التجنيس المصحف ويقال له تجنيس الخط أيضا وهو أن يأتي بكلمتين متشابهتين خطا لا لفظا كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون وقوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أشد حبا وأقل خبا وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قصر ثيابك فانه أتقى وأبقى وأنقى وقول البحتري ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقول أبي فراس من بحر شعرك أغترف * وبفضل علمك أعترف

(ومنه المضارع) ويسمى المطمع وهو أن يجمع بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها فيطمع في أنها مثلها فتختلف بحرف ويسمى المطرف وهو أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد من الحروف المتقاربة سواء وقع آخرا أو حشوا كقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير ومنه قول الحطيئة

مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وقول البحتري فلم أرجم فيك الظنون * أحاجة أنت أم حاجبه

وان كان التفاوت بغير المتقاربة سمي التجنيس اللاحق كقوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وقول البحتري

هل لما فات من تلاق تلاف * أم لشاك من الصبابة شاف

(ومنه المشوش) وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق اسم أحدهما عليه كقولهم فلان مليح البلاغة صحيح البراعة (ومنه تجنيس الاشتقاق) ويسمى الاقتضاب أيضا ومنهم من عده أصلا برأسه ومنهم من عده أصلا في التجنيس وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله تعالى فروح وريحان وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي رضي الله عنه يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضي وغري غيري ومن النظم قول أبي تمام

عممت الخلق بالنعماء حتى * غدا الثقلان منها مثقلين

وقول المطرزي

واني لاستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان أو أليف أغاني

وقول الصاحب وقائلة لم عرتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقول آخر ألا ترى الدنيا أغارت * وبحرها السد غارت

فصر وقد الهرتني * كأنما جارت أجارت

ومما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المشابه وبعضهم يسميه المغاير قوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى قال انى لعملكم من القالين وقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله وأسلمت مع سليمان وقول خالد بن صفوان إن أملي أمية ومن النظم قول البحترى

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذال فيها هباء

قلت وانما يحسن التجنيس اذا قل وأتى في الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

ولا كقول أبي تمام * حسنت عليه لأخت بني حسين * ولا كقول المتنبي

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيس كلهن قلاقل

(ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف) وهو ما كان كالمشتق الا في اعجاز الكلمة ثم لا يخلو من أن يتقارب فيه الحرف باعتبار المخارج أولا يتقارب فان تقارب سمى مضارعا وان لم يتقارب سمى لاحقا مثال الاول قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقول قس الايادى في خطبته من مات فات وقول الشاعر

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح

وقد اشتمل هذا البيت على المضارع واللاحق ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وقول عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن ليس فيه الا ناسج برد أو سائس قرد

(ومنها التجنيس المخالف) وهو أن يشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الاخرى دون ترتيبها كقول أبي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

وقول البحترى شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

وقول المتنبي ممنعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

فان اشتملت كل كلمة على حروف الاخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس كقوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق وقول عبد الله ابن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

(ومنها تجنيس المعنى) وهو أن تكون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الاتيان

فعصر ورق الهرشي * كأنما صارت أسارت

ومما يشبه المشتق وليس به بعض ما تشابه لفظه ويعرف بجنيس المشابهة قوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى قال إني لعملكم من القالين وقوله تعالى ليريه كيف يواري سوأة أخيه وقوله تعالى وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقوله وأسلمت مع سليمان وقول خالد بن صفوان ... أمية ومن النظم قول البحتري

وإذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذال فيها هباء

قلت وإنما يحسن التجنيس إذا قل وأتى في الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركاكة ولا يكون كقول الأعشى

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

ولا كقول أبي تمام * حسنت عليه لأخت بني حسين * ولا كقول المتنبي

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

(ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف) وهو ما كان كل واحد إلا في إبدال الكلمة ثم لا يخلو من أن يتقارب فيه الحرفان باعتبار المخارج أو لا يتقارب فإن تقارب سمي مضارعا وإن لم يتقارب سمي لاحقا مثال الأول قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقول قس الإيادي في خطبته من مات فات وقول الشاعر

فيا لك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح

وقد اشتمل هذا البيت على المضارع واللاحق ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وقول عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن ليس فيه إلا ناسج برد أو سائس قرد

(ومنها التجنيس المخالف) وهو أن يشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها كقول أبي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

وقول البحتري شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

وقول المتنبي ممنعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

فإن اشتملت كل كلمة على حروف الأخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس كقوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق وقول عبد الله ابن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الأدماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

(ومنها تجنيس المعنى) وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الإتيان

يغيض لي من حيث لا أعلم النوى * ويسري الى الشوق من حيث أعلم

وقال الزكي بن أبي الاصبع المصري في الطباق وهو على ضربين ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقا وما كان منه بلفظ المجاز سمي تكافؤا فمثال التكافؤ قول أبي الشعث العبسي من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمي الذمار صبيحة الارهاق

لان قوله حلو ومر خارج مخرج الاستعارة اذ ليس الانسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالي في سماء عجاج

وقد جمع بيت دعبل بين الطباق والتكافؤ وهو

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

لان ضحك الشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة هكذا قال ابن أبي الاصبع وفيه نظر لانه اذا كان الطباق عنده التضاد بين حقيقتين والتكافؤ التضاد بين مجازين فليس في البيت ما شرطه وقال ومما جمع بين طباق السلب والايجاب قول الفرزدق من انشادات ابن المعتز

لعن الاله بني كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وذكر في آخر الباب طباق الترديد وهو أن يرد آخر الكلام المطابق على أوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو رد الاعجاز على الصدور ومثاله قول الاعشى

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

القول في المقابلة

وهي أعم من الطباق وذكر بعضهم أنها أخص وذلك أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف أو تشترط شروطا وتعد أحوالا في أحد المعنيين فيجب أن تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعددت في الاول كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ومثاله من النظم قول الشاعر

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفي ومطوي على الغل غادر

وقول تأبط شرا

أهز به في ندوة الحي عطفه * كما هز عطفي بالهجان الاوارك

وقول آخر تقاصرن واحلولين لي ثم انه * أتت بعد أيام طوال أمرت

وقول آخر واذا حديث ساءني لم أكتئب * واذا حديث سرني لم أأشر

وقول آخر وكيف يساوي خالدا أو يناله * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقول زهير حلماء في النادي اذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء

وقول

وقول الفرزدق

لعمري لئن قل الحيا في وجوهكم * بنى نهشل ما لؤمكم بقليل

وفى هذا البيت ضرب من المقابلة من جهة السلب ومن فساده أن تقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول أبي عدي القرشي

يا ابن خير الاخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس قوله غيث الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مخالفا له وكقول الكميت

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

والشنب لا يقابل الدل وقول آخر

وحماة بذى الصلاح وشرا * بون قدما لهامة الصنديد

وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال فمن مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقول النابغة

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وقول أبي نواس

أنا استدعيت عفوك عن قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

وقول الآخر

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

ومن مقابلة أربعة بأربعة قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابل بقوله استغنى قوله تعالى اتقى لان معناه زهد فيما عند الله واستغنى بشهوات الدنيا عن الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومنه قول النابغة

اذا هبطا سهلا أثارا عجاجة * وان وطئا حزنا تقضت جنادل

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قابل أزور بأنثني وسواد ببياض والليل بالصبح ويشفع بيغري ولي ببي

(القول في الاسجاع)

كلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أن قولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت فلو ذهبت تصل لم يكن بد من اعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الاعراب لاختلف أواخر القرائن وفات السجع غرضه واذا رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون آتيك بالغدوا أو بالعشا وهنأني الطعام ومرأني وانصرفن مأزورات

غير مأجورات يريدون الغدوات وأمرأني ومأزورات مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة وكذا
أعط القوس باريها وفيه ترك الاعراب من أثناء الكلمة فما الظن بأواخر الكلم المشبهة
بالقوافي والاولى أن يقال في أواخر الابيات الفواصل اذا عرف هذا فالاسجاع أربعة أنواع
الترصيع والمتوازي والمطرف والمتوازن (أما الترصيع) فهو أن تكون الالفاظ مستوية
الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي وقولهم
فلان يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقولهم حتى عاد تعريضك تصريحا وتمريضك
تصحيحا ومن النظم قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار
جواب قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جرار

وكقول أبي فراس

وأفعالنا للراغبين كريمة * وأموالنا للطالبين نهاب

وقول الابيوردي

يروح اليوم طارب الحمد وافيا * ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا

وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كلت الابصار وما وراء الخلق الدميم
الا الخلق الذميم ومن النظم قول الطرزي

وزند ندى فواضله وري * ورند ربى فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وقول الآخر فللفظة النكراء سيبك رافع * وللخطة العذراء سيفك خاطب

(والمتوازي) وهو أن يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الآخر
منهما كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط
منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا وقول الحريري ألجأني حكم دهر قاسط الى أن انتجع
أرض واسط وقوله وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت (والمطرف) وهو
أن يراعى الحرف الاخير في كلتا قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال (والمتوازن)
وهو أن يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الآخر منهما
كقوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وقولهم اصبر على حر القتال ومضض النزال
وشدة المصاع ومداومة المراس فان راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها وقابل
الكلمة منها بما تعادلها وزنا كان أحسن كقوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين
وهديناهما الصراط المستقيم وقول الحريري اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود
ويسمى هذا في الشعر الموازنة كقول البحتري

فقف مسعدا فيهن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

ومما

غير مأجورات يريدون الغدوات وأمرأني ومروزورات مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة وكذلك أعط القوس باريها وفيه ترك الاعراب من أثناء الكلمة فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافي والاولى أن يقال في أواخر الابيات القوافي وفي أواخر الفقر الفواصل اذا عرف هذا فالاسجاع أربعة أنواع الترصيع والمتوازي والمطرف والمتوازن (أما الترصيع) فهو أن تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي وقولهم فلان يقتفر بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقولهم حتى عاد تعريضك تصريحا وتمريضك تصحيحا ومن النظم قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار
جواب قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جرار

وكقول أبي فراس

وأفعالنا للراغبين كريمة * وأموالنا للطالبين نهاب

وقول الابيوردي

يروح اليوم عازب الحمد وافيا * ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا

وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كلت الابصار وما وراء الخلق الدميم الا الخلق الذميم ومن النظم قول الطرزي

وزند ندى فواضله وري * ورند ربى فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وقول الآخر فللخطة النكراء سيفك رافع * وللخطة العذراء سيفك خاطب

(والمتوازي) وهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الآخر منهما كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا وقول الحريري ألجأني حكم دهر قاسط الى أن انتجع أرض واسط وقوله وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت (والمطرف) وهو أن يراعى الحرف الاخير في كلتا قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال (والمتوازن) وهو أن يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الآخر منهما كقوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وقولهم اصبر على حر القتال ومضض النزال وشدة المصاع ومداومة المراس فان راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها وقابل الكلمة منها بما تعادلها وزنا كان أحسن كقوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقول الحريري اسود يومي الابيض وابيض يومي الاسود ويسمى هذا في الشعر الموازنة كقول البحتري

فقف مسعدا فيهن ان كنت غادرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

ومما هو شرط الحسن في هذا المحافظة على تناسبه وهو اسم جامع للملاءمة والتناسب فالملاءمة تأليف الالفاظ الموافقة بعضها البعض على ضرب من الاعتدال كقول لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بد يوما أن ترد الودائع

وبعضهم يعد التلفيق من باب الملاءمة وهو أن يضم الى كل الشئ ما يليق به ويجري مجراه وأن يجمع الامور المتناسبة وقال هو من اغاثة النظام أيضا كقول ابن سعون المهلبي أنت أبا الوزير ابراهيم الجود سمح بلى الوعد شميم التوفيق يوسف الحضرة ندى الملك وكقول أبي العشائر الحمداني

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي * والخيل من تحت الفوارس تنحط

لقرأت فيها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وكقول الفزاري

كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي خده القمر

وكقول الآخر فنحن الثريا وعيوقها * ونحن السماكان والمرزم

وأنتم كواكب مجهولة * ترى في السماء ولا تعلم

وقول المتنبي أحبك يا شمس الزمان وبدره * وان لامني فيك السها والفراقد

وقول آخر

يا جوهر الحسن حسن الناس من عرض * والحسن لفظ ومعنى اللفظ معناكا

وقول آخر وكم سائل بالغيب عنه أجبته * هناك الايادي الشفع والسودد الوتر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وقول ابن حيوس

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر كقول النابغة

والرفق يمن والاناة سعادة * فتأن في رفق تنال نجاحا

واليأس مما فات يعقب راحة * ولرب مطمعة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضا وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة بل متقاربة في الجزالة والرقة والمتانة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معا صياغة تناسب وتلاؤم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض المرء أولاد علة * يكد لسان الناطق المتحفظ

﴿فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها﴾ قصر الفقرات يدل على قوة التمكن واحكام الصناعة وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك في الكتاب العزيز كثيرة لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك في رسائله كقوله كيف نهد كأن راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء

تغير قالوا لكن التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوفه الى ما يرد على سمعه فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولكن لا بقدر كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقل الالتذاذ بسماعها فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لا تكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وأقصر الطوال ما كان من احدى عشرة لفظة وأكثرها غير مضبوط مثاله من احدى عشرة لفظة قوله تعالى واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ومثاله من عشرين لفظة قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور

﴿رد العجز على الصدر﴾

وهو كل كلام منثور أو منظوم يلاقي آخره أوله بوجه من الوجوه كقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وقولهم القتل أنفى للقتل والحيلة ترك الحيلة وقولهم طاب ملكهم فطاب ما طلب ونهب مالهم فوهب ما نهب وهو في النظم على أربعة أنواع الاول أن يقعا طرفين متفقين صورة ومعنى كقوله

سريع الى ابن العم يشتم عرضه * وليس الى داعي الندى بسريع

وقوله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وقوله تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شيء عندنا ما تمنت

أو متفقتين صورة لا معنى وهو أحسن من الاول كقول المعري

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

وقول الآخر ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

أو معنى لا صورة كقول عمر بن ربيعة

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

وقول مضرس بن ربعي

تمنيت أن ألقى سليما أو عامرا * على ساعة ينسى الحليم الامانيا

وقول المعري ضرائب أبدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا

وقول آخر ثلبك أهل الفضل قد دلني * أنك منقوص ومثلوب

أولا صورة ولا معنى ولكن بينهما مشابهة اشتقاق كقول الحريري

ولاح يلحى على جري العنان الى * ملهى فسحقا له من لائح لاحا

فالاول الاتباع والثاني أجمة الخيام وكقول آخر

وما آن زمان السوء من حيث لاترى * فراق وإن يلقاه قريبا هجرانا

أو معنى لا صورة كقول أبي تمام

ثوى في الثرى من كان يحيا به الورى * ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

وقد كانت البيض المواضي في الوغى * بواتر فهي الآن من بعده بتر

فهذه هي الاقسام التي وجدت أمثلتها وقد ذكر ابن أبي الاصبع أنها ثلاثة وأن ابن المعتز قسمها كذلك وهذه أربعة كما ترى ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريري اللذان سماهما المطرفين وهما

سم سمة تحسن آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتني السؤدد والمكرمه

فان لم يشرك في الحشو فليس من هذا الباب كقوله

وثابوا يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

وكقول الافوه الاودي

وأقطع الهوجل مستأنسا * بهوجل عيرانة عنتريس

فالهوجل الاول الفلاة والثاني الناقة السريعة

الاعنات

ويقال له التضييق والتشديد ولزوم ما لا يلزم وهو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة مخصوصة كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بك أحاول وبك أصاول وقوله شر ما في المرء شح هالع أو جبن خالع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقوله زر غبا تزدد حبا وقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقول المعري

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد له السبك

وهو كثير في شعره وقال آخر

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذي غير آسن

اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد التزم ابن الرومي الفتح قبل حرف الروي وكان أولع الناس بذلك فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

والا فما يبكيه منها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سيلاقي من أذاها يهدد

وهي طويلة وكلها على هذا اللزوم

المذهب الكلامي

وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومنه قول النابغة يعتذر الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول لهذا الملك أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الي قوم فمدحتهم فكما أن مدح من أحسنت اليه لك لا يعد ذنبا فكذا مدحي لمن أحسن الي لا يعد ذنبا قال ابن أبي الاصبع ومن شواهد هذا الباب قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى * اذا قل من أحرارهن شفيعها

يقول لكل انسان نفس مطمئنة تأمر بالخير ونفس أمارة تأمر بالسوء والانسان يعاصي الامارة مرة ويطيعها أخرى وأنت اذا أمرتك الامارة بترك الندى شفعت المطمئنة اليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفيع في الندى من النفوس فأنت أكرم الناس

حسن التعليل

وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو على ضربين الاول ان الصفة اما ثابتة قصد بيانها أو غير ثابتة أريد اثباتها فالاولى أن لا يظهر لها في العادة علة كقوله

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

والثانية تظهر لها علة كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الاعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره والضرب الثاني اما ممكنة كقوله

يا واشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انساني من الغرق

فان استحسان اساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر أو غير ممكنة كقوله

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وألحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقد أحسن ابن رشيق في قوله

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لأني * حويت لكل انسان حبيبا

﴿ المذهب الكلامي ﴾

وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومنه قول النابغة يعتذر الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول لهذا الملك أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الي قوم فمدحتهم فكما ان مدح من أحسنت اليه لك لا يعد ذنبا فكذا مدحي لمن أحسن الي لا يعد ذنبا قال ابن أبي الاصبع ومن شواهد هذا الباب قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى * اذا قل من أحرارهن شفيعها

يقول لكل انسان نفس مطمئنة تأمر بالخير ونفس أمارة تأمر بالسوء والانسان يعاصي الامارة مرة ويطيعها أخرى وأنت اذا أمرتك الامارة بترك الندى شفعت المطمئنة اليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفع في الندى من النفوس فأنت أكرم الناس

﴿ حسن التعليل ﴾

وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو على ضربين الاول ان الصفة اما ثابتة قصد بيانها او غير ثابتة أريد اثباتها فالاولى أن لا يظهر لها في العادة علة كقوله

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

والثانية تظهر لها علة كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الاعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره والضرب الثاني اما ممكنة كقوله

يا واشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انساني من الغرق

فان استحسان اساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر أو غير ممكنة كقوله

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وألحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقد أحسن ابن رشيق في قوله

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لأني * حويت لكل انسان حبيبا

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وأما الذي في الالفاظ فهو الذي يؤتى به لاقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أحدهما مجيء الكلمة لاتفيد غير اقامة الوزن فقط والثاني مجيئها تفيد مع اقامة الوزن نوعا من الحسن فالاول من العيوب والثاني من المحاسن والكلام هنا في الثاني ومثاله قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله ياجنتي لاقامة الوزن وقصد بها دون غيرها مما يسد مسدها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لاتحصل بغيرها

(الاستطراد)

ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحتري وذكر غيره أن البحتري نقلها عن أبي تمام وسماه ابن المعتز الخروج من معنى الى معنى وفسره بأن قال هو أن يكون المتكلم في معنى يخرج به بطريق التشبيه أو الشرط أو الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا وغالب وقوعه في الهجاء وان وقع في غيره ولا بد من ذكر المستطرد باسمه بشرط أن لا يكون له تقدم ذكر فمن أول ما ورد فيه من النظم قول السموأل بن عاديا

وانا لقوم ما نرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول

ومنه قول حسان

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

وقول أبي تمام في وصف حافر الفرس بالصلابة

أيقنت اذلم يرق أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول البحتري في الفرس أيضا

ماان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح

عرضت عليها ما تريد من المنى * لترضى فقالت قم فجئني بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلي كل شئ يستقيم طلابه * ولا تذهبي ياد رفي كل مذهب

فأقسم لو أصبحت في عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبي

فتى شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماح تغلب

ومما جاء على وجه المجون قول بعضهم

اكشفي وجهك الذي أوحلتني * فيه من قبل كشفه عيناك

غلطي في هواك يشبه عندي * غلطي في أبي علي بن راك

ومما جاء في الادب على وجه التشبيه قول امرئ القيس

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وأما الذى فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أحدهما مجىء الكلمة لاتفيد غير اقامة الوزن فقط والثانى مجيئها تفيد مع اقامة الوزن نوعا من الحسن فالاول من العيوب والثانى من المحاسن والكلام هنا فى الثانى ومثاله قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله ياجنتى لاقامة الوزن وقصدها دون غيرها ليسد مسدها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لاتحصل بغيرها

(الاستطراد)

ذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره أن البحترى نقلها عن أبى تمام وسماه ابن المعتز الخروج من معنى الى معنى وفسره بأن قال هو أن يكون المتكلم فى معنى يخرج به بطريق التشبيه أو الشرط أو الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء وان وقع فى غيره ولا بد من ذكر المستطرد باسمه بشرط أن لا يكون له تقدم ذكر فمن أول ماورد فيه من النظم قول السموأل بن عاديا

وانا لقوم مانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول

ومنه قول حسان

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

وقول أبى تمام فى وصف حافر الفرس بالصلابة

أيقنت اذ لم يزق أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول البحترى فى الفرس أيضا

ماان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح

عرضت عليها ماتريد من المنى * لترضى فقالت قم فجئنى بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلى كل شئ يستقيم طلابه * ولا تذهبى يا در فى كل مذهب

فأقسم لو أصبحت فى عز مالك * وقدرته أعيا بمارمت مطلبى

فتى شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماح تغلب

ومما جاء على وجه المجون قول بعضهم

اكشفى وجهك الذى أوحلتنى * فيه من قبل كشفه عيناك

غلطى فى هواك يشبه عندى * غلطى فى أبى على براك

ومما جاء فى الغضب على وجه التشبيه قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وهو ضربان أحدهما أنه يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها نحو قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة وأن الاصل في الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم اخراج شيء مما قبلها فاذا وليها صفة مدح جاء التأكيد والثاني أن تثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد الا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ولهذا كان الاول أفضل ومن أمثلة الاول قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومن الثاني قول النابغة الجعدي

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى على المال باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قول بعضهم

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والناس من كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

تأكيد الذم بما يشبه المدح

(تأكيد الذم بما يشبه المدح) وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيه كقولك فلان لا خير فيه الا أنه يسيء الى من أحسن اليه وثانيهما أن تثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم له أخرى كقولك فلان فاسق الا أنه جاهل وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم

تجاهل العارف

(تجاهل العارف) وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير وقال السكاكي هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ كما في قول الخارجية وهي ليلى بنت طريف

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغة في المدح كما في قول البحتري

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو الذم كما في قول زهير

وما أدري ولست إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

أو التدله في الحب كقول العرجي

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أو ليلى من البشر

ومنه قول بعض المحدثين

بدا فراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

الهزل الذي يراد به الجد

(الهزل الذي يراد به الجد) وهو أن يقصد المتكلم ذم انسان أو مدحه فيخرج ذلك مخرج

المجون

المجون ومنه قول الشاعر

اذا ما تميمي أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك الضب

ومن أبلغ ما في هذا الباب قول امرئ القيس

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وأنشد ابن المعتز في هذا الباب قول أبي العتاهية

يا سلم أرقبك باسم الله أرقيكا * من بخل نفسك علّ الله يشفيكا

ما سلم كفك الا من يناركها * ولا عدوك الا من يرجيكا

الكناية

(الكنايات) وهي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر كقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وكقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط كناية عن قضاء الحاجة وقوله عز وجل ولكن لا تواعدوهن سرا كناية عن الجماع قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة الحي أنني * كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

ذهب كل من فسر شعره من العلماء الى انه أراد بالسر الجماع وفي السنة النبوية من الكناية ما لا يكاد يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن كتفه كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر ومن عادة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض كما قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لانجشة رويدا سوقك بالقوارير يعني النساء ومن مليح الكناية قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني * هنا من ذاك تكرهه الكرام

وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فكنى بالنخلة عن المرأة يشير الى أنه سأل عنها فأخبر أنها زوجت والعرب تكني بالهنات عما يستقبح ذكره ومن أحسن الكنايات في الهجاء قول بعض الشعراء يهجو انسانا ويرمي أمه بالعهر ويرميه بداء الاسد

أراد أبوك أمك حين زفت * فلم توجد لامك بنت سعد

يريد عذرة ثم قال

أخوك لكم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

يريد انما أنه أخوكم

المبالغة

(المبالغة) وتسمى التبليغ والافراط في الصفة وحد قدامة المبالغة فقال هي أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأته فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومما ورد في المبالغة من السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه عز وجل انه

قال كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به وقوله فى بقية هذا الحديث والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففى هذا الحديث مبالغتان احداهما كون الله سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وشرفه وأخبر أنه سبحانه وتعالى يتولى مجازاة الصائم مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم أن الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها لله تعالى فلأنها عملت لوجهه الكريم واما كونها للعبد فلأنه يثاب عليها فتخصيص الصيام من بينها بالاضافة الى الرب سبحانه وتعالى وتخصيص ثوابه بأنه هو يجزى به انما كان للمبالغة فى تعظيمه والحث عليه والمبالغة الثانية اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على أعظم الطيب وأتى بصيغة افعل للمبالغة ومن أمثلة المبالغة المقبولة قول امرئ القيس

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فانه أخبر عن هذا الفرس انه أدرك ثورا وبقرة وحشية فى مضمار واحد ولم يعرق ومثله قول أبى الطيب

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وما يعاب من المبالغة الا ما خرج عن حد الامكان الى الاستحالة كقوله

وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وأما اذا كان كقول قيس بن الخطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها

فان ذلك من جيد المبالغة اذ لم يكن قد خرج مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية فى وصف الطعنة ومن أحسن ذلك وأبلغه قول أحد شعراء الحماسة

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

(عتاب المرء نفسه) وهو من أفراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدى أنشدهما عن الجاحظ

عصانى قومى والرشاد الذى به * أمرت ومن يعص المجرب يندم

فصبرا بنى بكر على الموت اننى * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

ومنه قول دريد بن الصمة

نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهد

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأننى غير مهتد

وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

عتاب المرء نفسه

الى ابن الحلاوى أنشد لغزا فى الشبابة وهو

وناطقة خرساء باد شحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر
نهانى النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

وفى اللغز والجواب تضمين نصف بيت لتأبط شرا وقد ضمنت بيتين توطئة واحدة وهما

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى وأشجانى وشربى المدامع
وخلى بها طيفى كؤوس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

(التلميح)

وهو من التضمين واثباته بعضهم أفرده وهو أن يشير فحوى الكلام الى مثل سائر أو بيت مشهور أو قصة معروفة من غير أن يذكره كقوله

المستغيث بعمرو عند كربته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار الى قصة كليب واستغاثته بعمرو بن الحرث ومنهم من يسمى ذلك اقتباسا وايراد المثل كما هو تضمينا وارسال المثل كقول أبى فراس

تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن يخطب العليا لم يغلها المهر

وكقول المتنبى

تبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(ارسال مثلين) هو الجمع بين مثلين كقول لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقول النابغة ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وقول زهير ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقول عبيد بن الابرص

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول المتنبى أعز مكان فى الدنا سرج سابح * وخير جليس فى الانام كتاب

وقوله أيضا وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقول أبى فراس ومن لم يوق الله فهو مضيع * ومن لم يعز الله فهو ذليل

الكلام الجامع

(الكلام الجامع)

وهو أن يكون البيت جاريا مجرى مثل واحد كقول زهير

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول أبي فراس

إذا كان غير الله في عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

والمتنبي في ذلك اليد البيضاء كقوله

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقوله ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقوله إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحسان وإجمال

وقوله ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم

وقوله والظلم من شيم النفوس فإن تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

اللف والنشر

(اللف والنشر)

وهو أن يذكر شيئين فصاعدا ثم يأتي بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ماله كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومن النظم قول الشاعر

ألست أنت الذي من ورد نعمته * وورد راحته أجني وأغترف

وقد لا يراعى فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه سواء تقدم أو تأخر كقول الشاعر

كيف أشكو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

التفسير

(التفسير وهو قريب منه) وهو أن يذكر لفظا ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير كقول أبي مسهر

غيث وليث فغيث حين تسأله * عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام

ومنه قول الشاعر

تحيي وتردي بجدواه وصارمه * تحيي العفاة وتردي كل من حسدا

ومن ذلك أن يذكر معاني ويأتي بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت إليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

لألفيت فيهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

لكنه لم يراع شرط اللف والنشر وكقول آخر

فواحسرتا حتى متى القلب موجع * بفقد حبيب أو تعذر إفضال

فراق حبيب مثله يورث الأسى * وخلة حر لا يقوم بها مالي

ومنه قول ابن شرف

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقلت في هذا المعنى

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار

هذى منحت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الايثار

ومن أحسن ما في هذا الباب قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وفساد ذلك أن يأتي ازاء الشئ مالا يكون مقابلا له كقول الشاعر

فيا أيها الحيران في ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا

تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

فأتى بالندى بازاء بغى العدا وكان يجب أن يأتي بازائه بالنصر أو العصمة أو الوزر وما جانسه أو يذكر في موضع البغي الفقر والعدم وما جانس ذلك

التعديد

(التعديد ويسمى سياقة الاعداد) وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أو جناس أو تطبيق أو شبه ذلك كان غاية في الحسن كقولهم من وضع في يده زمام الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والبسط والقبض والابرام والنقض والاعطاء والمنع

ومن النظم قول المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والضرب والطعن والقرطاس والقلم

تنسيق الصفات

(تنسيق الصفات)

وهو أن يذكر الشئ بصفات متوالية كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الآية وقوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون

ومن النظم قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقول حسان
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقول المتنبي
دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممر لين شرس

الايهام

(الايهام)

ويقال له التورية والتخييل وهو أن يذكر ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة فاذا سمعها الانسان سبق الى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد مثاله قول عمر بن أبي ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

فذكر الثريا وسهيلا ليوهم السامع انه يريد النجمين ويقول كيف يجتمعان والثريا من منازل

القمر الشامية وسهيل من النجوم اليمانية ومراده بالثريا المرأة التي كان يتغزل بها التزوجت
بسهيل وبعد ما بين المنازل الشامية والنجوم اليمانية تأتى له الانكار على من فعل ذلك ومن
ذلك قول المعري

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

فانه يوهم السامع يذهب الى الاقارب ومراده بالجد الحظ وبالعم الجماعة من الناس وبالخال
المخيلة ومن ذلك قول الحريري في وصف الابرة والميل في المقامة الثامنة ومعظم ما ذكر في
أوصافهما من باب التورية وقوله أيضا

يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف في الانديه
قتلتها لا أتقي وارثا * يطلب مني قودا أوديه

يريد بالعانس العاتق الخمر وبقتلها مزجها كما قال حسان

ان التي عاطيتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ومن ذلك قول الشاعر

كأن كانون أهدى من ملابسه * لشهر آذار أنواعا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت * فليس تفرق بين الجدي والحمل

وأمثال ذلك كثيرة وخصوصا في أشعار المتأخرين وعند علماء البيان التخييل تصوير حقيقة
الشيء للتعظيم كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
والغرض منه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى
جهة حقيقة أو مجاز وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما هي حفنة من حفنات ربنا قال
الزمخشري ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي
تأويل المتشابهات من كلام الله تعالى وكلام الانبياء عليهم السلام

(حسن الابتداآت)

حسن الابتداآت

هذه تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداآت القصائد وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة
الاستهلال وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في
القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده والكاتب أشد ضرورة الى ذلك من غيره ليبني كلامه على
نسق يستدل منه على مقصده من أول وهلة اما في خطبة تقليد أو دعاء كتاب كما قيل لكاتب
اكتب الى الامير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الانسان فكتب أما بعد حمد الله خالق
الانام في بطون الانعام وكقول أبي تمام في فتح عمورية وكان المنجمون ذكروا أنها لا تفتح
الا في أيام التين والعنب

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

وكقول أبي الطيب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن مولاه بعد وحشة شديدة

حسم الصلح ما اشتهته الاعادي * وأذاعته ألسن الحساد

وقوله وقد استظهر الروم على سيف الدولة ونفر عنه أكثر من كان معه

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وقوله في عتاب سيف الدولة

واحر قلباه ممن قلبه شبم * ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وقوله في تهنئته بعافيته

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك الألم

ونحو ذلك وأمثلة هذا النوع كثيرة نظما ونثرا وينبغي أن لا يبتدي بشيء يتطير منه كقول ذي الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وقول البحتري * لك الويل من ليل تقاصر آخره

وكقول المتنبي كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكقوله ملث القطر أعطشها ربوعا * والا فاسقها السم النقيعا

وينبغي أن يراعي في الابتداآت ما يقرب من المعنى اذا لم تتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه وقد حكي أن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول اسحق بن ابراهيم الموصلي حيث قال

هل الى أن تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يبتدي في المدح بمثل قول أبي زيد العماري

على منبر العلياء جدك يخطب * وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبي عدوك مذموم بكل لسان * وان كان من أعدائك القمران

وقول السقاسي

ماهز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

وفي التشبيب كقول أبي تمام

على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب

وقول الابيوردي

تحية صب يقرأها الرعد * على منزل جرت به ذيلها دعد

وقوله ترنح من برح الغرام مشوق * عشية زمت للتفرق نوق

وفي النسيب كقول المتنبي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وفي المراثي كقول أبي تمام

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقول المتنبي نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

براعة التخلص

(براعة التخلص) هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممتزجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل كقول مسلم بن الوليد

أجدك هل تدرين أن رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وقوله في عتاب سيف الدولة

واحر قلباه ممن قلبه شبم * ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وقوله في تهنئته بعافيته

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك الألم

ونحو ذلك وأمثلة هذا النوع كثيرة نظما ونثرا وينبغي أن لا يبتدى بشيء يتطير منه كقول ذي الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وقول البحتري * لك الويل من ليل تقاصر آخره

وكقول المتنبي كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكقوله ملث القطر أعطشها ربوعا * والا فاسقها السم النقيعا

وينبغي أن يراعى في الابتداآت ما يقرب من المعنى اذا لم تتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه وقد حكي أن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول اسحق بن ابراهيم الموصلي حيث قال

هل الى أن تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يبتدى في المدح بمثل قول أبزون العماري

على منبر العلياء جدك يخطب * وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبي عدوك مذموم بكل لسان * وان كان من أعدائك القمران

وقول السقاسي

ما هز عطفيه بين البيض والأسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

وفي التشبيب كقول أبي تمام

على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب

وقول الابيوردي

تحية صب بات يقرأها الرعد * على منزل جرت به ذيلها دعد

وقوله ترنح من برح الغرام مشوق * عشية زمت للتفرق نوق

وفي النسيب كقول المتنبي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وفي المراثي كقول أبي تمام

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقول المتنبي نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

براعة التخلص

(براعة التخلص) هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممتزجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل كقول مسلم بن الوليد

أجدك هل تدرين أن رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

نصبت

أصبحت أمها حتى تحلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكقول البحتري
ربيع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبي
نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

براعة الطلب

(براعة الطلب) هو أن تكون الألفاظ مقترنة بتعظيم الممدوح كقول أمية بن أبي الصلت
أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حباؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقول المتنبي
وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

براعة المقطع

(براعة المقطع) هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع كقول أبي تمام
أبقت بني الاصفر المصفر كاسمهم * صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وكقول المتنبي
وأعطيت الذي لم يعط خلق * عليك صلاة ربك والسلام

وكقول المعري
بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله * وهذا دعاء للبرية شامل

السؤال والجواب

(السؤال والجواب) كقول أبي فراس
لك جسمي تعله * فدمي لم تحله * قال ان كنت مالكا * فلي الأمر كله

وكقول الباخرزي
قلت لها هجرتني ما العلة * فتمايلت دلا وقالت قبلة

ومن المستظرف في هذا الباب قول وضاح اليمن
قالت ألا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فاني طالب غرة * منه وسيفي صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فاني سابح ماهر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وهو كثير في شعر عمر بن أبي ربيعة وعلي بن الجهم

صحة الأقسام

(صحة الأقسام) وهو أول أبواب قدامة صحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا ومثال ذلك قوله تعالى وهو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع في المطر قالوا ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق تقع مع أول برقة ولا يحصل المطر الا بعد توالي البرقات ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا أشار المتنبي بقوله
وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدي لها برق الغمام

وينزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وقال قدامة هو أن يكون في أول البيت معنى اذا علم علمت منه القافية بلفظه كقول الراعي النميري

فان وزن الحصى فوزنت قومي ✱ وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وعرف القافية والروي علم آخر البيت ومن أمثلة هذا ما حكي عن عمر بن أبي ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ✱ تشط غدا دار جيراننا ✱ فقال عبد الله ✱ وللدار بعد غد أبعد ✱ فقال له عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله وهكذا يكون ✱ ويقرب من هذه القصة قصة عدي بن الرقاع العاملي حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق كلمته التي أولها ✱ عرف الديار توهما فاعتادها ✱ حتى انتهى الى قوله ✱ تزجي أغن كأن ابرة روقه ✱ شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدي الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال ✱ قلم أصاب من الدواة مدادها ✱ فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدي الى الانشاد قال ✱ قلم أصاب من الدواة مدادها ✱ فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا

الايغال

✱(الايغال)✱ معنى الايغال أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام وأصله من أوغل في السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة وفسره قدامة بأن قال هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافية فاذا أراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذي الرمة

قف العيس في آثار مية واسأل ✱ رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع في البيت الثاني فقال

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ✱ دموعا كتبذير الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبذير الجمان المفصل واحتاج الى القافية فأتى بها ليفيد معنى زائدا ولو لم يأت بها لم يحصل وقد حكي عن الاصمعي انه سئل عن أشعر الناس فقال الذي يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو ينقضي كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد بها معنى فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعاني امرئ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا ✱ وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ونحو زهير حيث يقول

كأن فتات العهن في كل منزل ✱ نزلن به حب الفنا لم يحطم

ومن أبلغ ما وقع في هذا الباب قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ✱ كأنه علم في رأسه نار

ولقد أحسن ابن المعتز في قوله لابن طباطبا العلوي

فأنتم بنو بنته دوننا ✱ ونحن بنو عمه المسلم

ومن الايغال قول امرئ القيس

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

ومن أمثلة ذلك في شعر المتأخرين قول الباخرزي

تعجبت من ضنا جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

الاشارة

(الاشارة) وهي أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيماء إليها وذكر لمحة تدل عليها كقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى وفغشيهم من اليم ما غشيهم وقول امرئ القيس

فإن تهلك شنوءة أو تبدل * فسيري إن في غسان خالا

بعزهم عززت وإن يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

وكقوله — على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا وان

وكقوله أيضا — فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل في مقيل نحسه متغيب

وكقول امرأة من عقيل

يا ابن الدعي إنا عقيل فقف * لتعلمن اليوم إن لم تنصرف

أن الكريم واللئيم مختلف

التذييل وهو ضد الاشارة

(التذييل وهو ضد الاشارة) وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه كقوله

إذا ما عقدنا له ذمة * شددنا العناج وعقد الكرب

وكقول الآخر — ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه إذا لم أنزل

ويقرب منه التكرار كقول عبيد

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا

وكقول الآخر — وكانت فزارة تصلى بنا * فأولى فزارة أولى فزارا

الترديد

(الترديد) هو أن يعلق لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

وكقول آخر — واحفظ مالي في الحقوق وإنه * يلم وإن الدهر جم عجائبه

وكقول أبي نواس

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

التفويف

(التفويف) اشتق التفويف من الثوب المفوف وهو الذي فيه خطوط بيض وهو في الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الأغراض كل فن في جملة منفصلة عن أختها مع تساوي الجمل في الوزنية ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبياني

فلله عينا من رأى أهل قبة * أضر لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا إليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول أبي الوليد بن زيدون

ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

التسهيم

ومثال ماجاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي

أقل أنل أقطع احمل علّ سلّ أعد * زد هش بش تفضل أدن سرّ صل

(التسهيم) ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيأ واحدا او يشرك بينهما بالتسوية والفرق بينهما أن التوشيح لايدلك أوله الا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة على مادون العجز ونعريفه أن يتقدم من الكلام مايدل على مابعده آخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات جنوب أخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتاليفه يعلمون معنى قولها

* فأقسم ياعمرو لو نبهاك * يقتضي أن يكون تمامه * اذا نبها منك داءً عضالا * دون غيره من القوافي كما لو قالت مكان داء عضالا ليثا غضوبا أوافعى قتولا أوسما وحيا أوما ناسب ذلك لان الداء العضال أبلغ من هذه الاشياء جميعها وأشد اذ كل منها يمكن مغالبته أوالتوقي منه والداء العضال لادواء له فهذا مما يعرف بالمعنى وأمامايدل فيه الاول على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

فان الحاذق بصناعة الكلام اذا سمع قولها مفيتا مفيدا تحقق ان هذا اللفظ يقتضي أن يكون تمامه نفوسا ومالا وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والمراد البيت الثاني لان قولها فكنت النهار به شمسه يقتضي أن يتلوه وكنت دجى الليل فيه الهلالا ومن ذلك قول البحتري * واذا حاربوا أذلوا عزيزا * يحكم السامع بان تمامه * واذا سالموا أعزوا ذليلا * وكذلك قوله

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فليس الذي حللته بمحلل * يعرف السامع أن تمامه * وليس الذي حرمته بحرام * وهو مأخوذ من البرد المسهم وهو المخطط الذي لايتفاوت ولا يختلف

الاستخدام

(الاستخدام) وهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما في معنى من معاني تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية أيضا وكل واحد من البابين مفتقر الى لفظة لها معنيان والفرق بينهما أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة واهمال الآخر والاستخدام استعمالهما معا ومن أمثلته قول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

فان لفظة الغضا محتملة للموضع والشجر والسقيا صالحة لهما فلما قال والساكنيه استعمل معنى اللفظ وهو دلالته بالقرينة على الموضع ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الشجر ومن ذلك أيضا قول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت ومن ذلك قول أبي العلاء المعري

وفقيها أفكار وشدو للنعمان ما لم يشده شعر زياد

أراد بلفظة النعمان الامام أبا حنيفة والنعمان بن المنذر فقال شادت أفكاره لهذا ما لم يشده شعر النابغة لهذا الثاني والمعنى واحد

(العكس والتبديل) وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها أن يقع بين طرفي الجملة كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنه بيت الحماسة

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقول أبي الطيب

ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

(الرجوع) وهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم ثاب اليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وغيرها الارواح والديم

ومنه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

(التغاير) وهو أن يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه أو يذموه فيمدحه فمن ذلك قول أبي تمام يغاير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما

فوردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بارضا وهشيما

فعلمنا أن ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة

لا تعجب النائل المبذول همته * وكيف تعجب عين الناظر النظر

ومن هذا أخذ الحسيني قوله

لو يكثر العاذلون ذمته * لما عفت نفسه سجاياها

كالشمس لا تبتغي بما صنعت * منزلة عندهم ولا جاها

(والاصل قول بشار)

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم الرجاء

قال ابن أبي الاصبع أخذ أبو تمام معناه الذي غاير فيه الناس من قول ابراهيم بن سيار النظام لانه غاير جميع العلماء في استدلاله على ان الشكر انه لا يجب شرعا ولا عقلا وقال يعني النظام في نظم الدليل كلاما تهذيبه وحررته فقلت المعطي لا بد وعطاؤه أحد أربعة أقسام حاصرة

وقفتها أفكار وشدت للنعمان مالم يشده شعر زياد

أراد بلفظة النعمان الامام أبا حنيفة والنعمان بن المنذر فقال شادت أفكاره لهذا الامام ما يشده شعر النابغة لهذا والمعنى واحد

العكس والتبديل

(العكس والتبديل) وهو أن يقدم في الكلام جزءاً ثم يؤخر ويقع على وجوه منها أن يقع بين طرفي الجملة كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنه بيت الحماسة

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقول أبي الطيب

ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

الرجوع

(الرجوع) وهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغيير فقال لم يعفها القدم ثم ثاب اليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وغيرها الارواح والديم

ومنه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

التغاير

(التغاير) هو أن يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه أو يذموه فيمدحه فمن ذلك قول أبي تمام يغاير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما

ووردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بارضا وجميما

فعلمنا أن ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة

لا تحسب النائل المبذول همته * وكيف تحسب عين الناظر النظرا

ومن هذا أخذ الحسيني قوله

لو يشكر العالمون نعمته * لما عرفت نفسه سجاياها

كالشمس لا تبتغي بما صنعت * منزلة عندهم ولا جاها

(والاصل قول بشار)

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

قال ابن أبي الاصبع أخذ أبو تمام معناه الذي غاير فيه الناس من قول ابراهيم بن سيار النظام لانه غاير جميع العلماء في استدلاله على أن شكر المنعم لا يجب شرعا ولا عقلا وقال بعض النظام في نظم الدليل كلاما نقحته وحررته فقلت المعطي لا يعدو عطاؤه أحد أربعة أقسام حاضرة

فان أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد

التشطير

﴿التشطير﴾ هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر من الشطرين ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر كقول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

﴿وكقول أبي تمام﴾

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

التطريز

﴿التطريز﴾ وهو أن يبتدئ الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرر واتحاد لا تعداد تغاير وذلك كقول ابن الرومي

أموركم بني خاقان عندي * عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله

ويسقيني ويشرب من رحيق * خليق أن يشبه بالخلوق
كأن الكأس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

﴿وكقول الشاعر﴾

فثوبي والمدام ولون جسمي * شقيق في شقيق في شقيق

التوشيع

(التوشيع) هو من الوشيعة وهي الطريقة في البرد فكأن الشاعر أهمل البيت كله الا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنه تفسير لما ثناه وقد جاء من ذلك في السنة ما لا تلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة ذلك في الشعر قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد

قال ابن أبي الاصبع ومن أحسن ما نقلته في هذا الباب قول الشاعر

لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد
بي محنتان ملام في هوى بهما * رثى لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية وأسى * أودى بي المرديان الشوق والفكر

قال ويحسن أن يسمى ما في بيته مطرف التوشيع اذ وقع المثنى في أول كل بيت وآخره

الاغراق

(الاغراق) وهو فوق المبالغة ودون الغلو ومن أمثلته قول ابن المعتز

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

لموضع الاغراق من البيت قوله ظالمين يعني انها استغرقت بجودها في الصيد فباشرت بها الظلم فمن أجل ذلك خرجت من الوحشية الى الطيرية ولو لم يقل ظالمين لما حسن قوله فطارت ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة وعد من الاغراق لا المبالغة قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الغلو

(الغلو) ومنهم من يجعله هو والاغراق شيأ واحدا ومن شواهده المستحسنة قول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقالوا انما كان هذا من باب الغلو وبيت امرئ القيس المتقدم في صفة النار من باب الاغراق لان حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وبينهما في الادراك بون بعيد ويشبه هذا في الافراط والغلو قول المتنبي في صفة الاسد

ورد اذا ورد البحيرة شاربا * بلغ الفرات زئيره والنيلا

قالوا ومن أمثلة الغلو قول النمر بن تولب

أبقى الحوادث والايام من نمر * أسآد سيف صقيل أثره باد

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادي

القسم

(القسم) وهو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحا له أو ما يكسبه فخرا أو يكون هجاء لغيره أو وعيدا أو جاريا مجرى التغزل والترقق فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وهذه الابيات تضمنت فخرا له ووعيدا لغيره

(وكقول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم)

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وهدمت ما شادته اسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاخلاف والاتلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم أشن على علي خلة * تضحي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يزيد الممدوح مدحا كقول القائل

ان كان لي أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

ومما جاء من القسم في النسيب قول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجني على كما يجني

فان لم يكن عندي كعيني ومسمعي * فلا نظرت عيني ولا سمعت اذني

ومما جاء منه في الغزل قول الآخر

لا والذي سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله

ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلابله

الاستدراك

(الاستدراك) وهو على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الأول قول القائل

وإخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادي

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

ولابن الدويدة فيمن أودعت عنده وديعة فادعى ضياعها

إن قال قد ضاعت فصدق إنها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي

أو قال قد وقعت فصدق إنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومن هذا الباب قول الأرجاني وهو لطيف جدا

غالطتني إذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثاني الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد

فمثل قول زهير أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

المؤتلفة والمختلفة

(المؤتلفة والمختلفة) هي أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف التسوية كقول الخنساء في أخيها وقد أرادت مساواته بأبيه مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها قدر الولد

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا إلى وكر

حتى إذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدري

برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري

أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير بقوله

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

وتداول الناس هذا المعنى فقال أبو نواس

ثم جرى الفضل فانثنى قدما * دون مداه بغير ترهيق

فقيل راشا سهما أراد به الغاية والنصل سابق الفوق

التفريق المفرد

(التفريق المفرد) هو كقول الشاعر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

الاستدراك

(الاستدراك) وهو على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

ولابن الدويدة فيمن أودعت عنده وديعة فادعى ضياعها

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فصدق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومن هذا الباب قول الارجاني وهو لطيف جدا

غالطتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثاني الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فمثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

المؤتلفة والمختلفة

(المؤتلفة والمختلفة) هي أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة لا تنقص بها مدح الآخر فيأتي لاجل الترجيح بمعان تخالف التسوية كقول الخنساء في أخيها وقد أرادت مساواته بأبيه مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها قدر الولد

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدري
برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى ان يساويه * لولا جلال السن والكبر

وأول من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله

هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

وتداول الناس هذا المعنى فقال أبو نواس

ثم جرى الفضل فانثنى قدما * دون مداه بغير ترهيق
فقيل راشا سهما تراد به الغاية والنصل سابق الفوق

التفريق المفرد

(التفريق المفرد) هو كقول الشاعر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

الأسماء إلا بأنه تأتي منسوقة غير متقطعة من غير ظهور كلفة على الناظم كاطراد الماء لسهولته وانسجامه كقول الأعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت الذي ترجو حباءك وائل

وأحسن منه قول دريد لسكون الأسماء المطردة جاءت في عجز البيت

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

ويقال إن عبد الملك بن مروان قال لما سمع هذا البيت لولا القافية لبلغ به آدم وقال ابن أبي الإصبع وقد أربى على هؤلاء بعض القائلين

من يكن رام حاجة بعدت عنه * وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى * بن معاذ بن مسلم بن رجاء

فلم يقع فيهما التضمين والفصل بين الأسماء بلفظة المرجى وكتب شيخنا مجد الدين بن الظهير الحنفي على إجازة

أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السند

محمد بن أحمد بن * عمر بن أحمد

فلم يدخل بين الأسماء في البيت بلفظة أجنبية

(التجريد) وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام منها نحو قولهم لي من فلان صديق حميم أي بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر ومنها نحو قولهم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر ومنه قول الشاعر

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل

أي تعدو بي ومعي من استعداد للحرب لابس لامة ومنها قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لأن جهنم أعاذنا الله منها هي دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل فيها معدا للكفار تهويلا لأمرها ومنها نحو قول الحماسي

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوي الغنائم أو يموت كريم

وعليه قراءة من قرأ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وقيل تقدير الأول أو يموت مني كريم والثاني فكانت منها وردة كالدهان وفيه نظر ومنها نحو قوله

يا خير من يركب المطي ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

ونحوه قول الآخر

إن تلقني لا ترى غيري بناظره * تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

ومنها مخاطبة الإنسان غيره وهو يريد نفسه كقول الأعشى

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومنه قول أبي الطيب

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

ومنه قول الصمة القشيري

حننت إلى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا * وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

ومنه قول المتنبي

الام

الا ام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
كتمت بعيب الشعر علما وحكمة * ببعضهما ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـكلام وحيي الدارسات الغوابر

(التكميل) وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام واغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل كمن أراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلا غير كامل أو بالتأنى دون الحلم ومثال ذلك فى الشعر قول كعب بن سعد الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين أهله احتراس لولاه لكان المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز وانما يزين الحلم أهله اذا كان عن قدرة ثم رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل لانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب ومن مليح التكميل قول السموأل

وما مات منا سيد فى فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل

لان صدر البيت وان تضمن وصفهم بالاقدام والصبر أوهم العجز لان قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكمله بأخذهم الثار وكمل حسنه بقوله حيث كان فانه أبلغ فى الشجاعة ومن ذلك فى النسيب قول كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

لان فى قوله عند موفق تكميلا للمعنى اذ ليس كل من يحاكم اليه موفق ومن التكميل الحسن قول المتنبى

أشد من الرياح الهوج بطشا * وأسرع فى الندى منها هبوبا

(المناسبة) وهى على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية أن يبتدى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهو كثير فى الكتاب العزيز ومنه قوله تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعية أولم يهد لهم وقال بعد ذكر الموعظة أفلا يسمعون وقال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية أولم يروا وقال بعد ذكر الموعظة أفلا يبصرون ومن أمثلة المناسبة المعنوية فى الشعر قول المتنبى

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا صار البيت به متلاحما ومنه قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما رويناه فى الندى * من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث يرويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

فانه وفى المناسبة حقها فى صحة النسبة برواية السيول عن الحيا عن البحر وجعل الغاية فيها جود الممدوح * والمناسبة اللفظية توخى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفات فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن

والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون ومن شواهد المناسبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رقى به الحسن والحسين رضي الله عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم لامة ولم يقل ملمة وهي القياس لتكون المناسبة اللفظية التامة وأما طلبها في المعنى من المناسبة الناقصة فكقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني أسألك اللطف في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبي وأمري وغائبي وشاهدي مناسبة ناقصة لأنها في الزنة دون التقفية ثم ناسب بين الشهداء والسعداء والنصر على الأعداء مناسبة تامة في الزنة والتقفية ومن أمثلة المناسبتين قول أبي تمام

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس * قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وناسب بين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة ومن ذلك قول البحتري

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

(التفريع) هو أن يصدر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفي بما خاصة ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به في الحسن أو القبح ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسب أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي للموصوف كقول الأعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وقول عاتكة المرية

وما طعم ماء أي ماء بقرة * تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت * عليه رياح الصيف من كل جانب
نفت جرية الماء القذى عن متونه * فليس به عيب تراه لعائب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقى الله واستحياء بعض العواقب

وأكثر ما يقع الأصل في بيت أو أكثر والتفريع بعد ذلك أما قريبا منه وأما بعيدا ووقوع الأصل والفرع لأبي تمام في بيت واحد في قوله

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وإن أدمين من خجل * أشهى إلى ناظري من خدها الترب

ومما ورد منه في النثر قول ابن الناسم في رسالته التي كتبها إلى سبا بن أحمد صاحب صنعاء وأما

بألم من عبدة بفراقه في الجلاد فما أم تحضن الولد كأنهم عقبان ذكور اخترمهم
غائلة هوى على الناسج حائمة فنادى النذير في البادية بالعادية فلما سمعت الداعي ورأت
الخيل سواهي أقبلت تنادي ولدها الاناة الاناة وهو يناديها القناة القناة

بطل كأن ثيابه في سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فلما رمقته يختال في غصون الزرد الموضون أنشأت تقول

أسد أضبط عشي * بين طرفاء وغيل
لبسه من نسج داود كضحضاح المسيل

عرضه في البادية أسد هصور كأن ذراعه مسد مضفور

فتطاعنا وتواقفت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما عجت الرعيل برزت من الصرع بصبر قد عيل فسألت عن الواحد فقيل لحده اللاحد

فكرت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا
عبثن به فلم يتركن الا * أديما قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدة تأسفا ولا أعظم كمدا وتلهفا (قال المؤلف) وقلت في مثل ذلك وما أم طفل
قذفها الزمن العنيد ببعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك كثيرة المهالك
قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب
نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم
ذهبت في طلب ماء للسلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار
مطي بوارك تدل على الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها عيون اليه
متطلعة فلما أشرفت بجانب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب

بأكثر مني حسرة وتلهفا * وأكثر مني حرقة وتفجعا
وأغزر دمعا عندما قيل لي الذي * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وقد سمى بعض المتأخرين هذا القسم النفي والجحود وذكر ابن أبي الاصبع في التفريع قسما
ذكره في صدر هذا الباب وقال انه هو الذي استخرجه وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة هي اسم أو
صفة ثم يكررها في البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع عليها جملة من المعاني في المدح وغيره
كقول المتنبي

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء * أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي * أنا ابن السروج أنا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد الجنان

وما ذكره نظر لانه بباب تعداد الصفات أنسب
(نفي الشئ بايجابه) وهو أن يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي
في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته كقول امرئ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا ساقه العود النباطي جرجرا

بال عبد به فراقه في الجلد فأم تسعى من الولد ذكور كأنهم عقبان ذكور اختر منهم غلامة فوى على التابع حاسه فنادى النذير في البادية بالعادية فلما سمعت الداعي ورأت الخيل سواهي أقبلت تنادي ولدها الاناة الاناة وهو يناديها القناة القناة

بطل كأن ثيابه في سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فلما رمقته يختال في غصون الزرد الموضون أنشأت تقول

أسد أضبط يمشي * بين طرفاء وغيل

لبسه من نسج داود كضحضاح المسيل

عرض له في البادية أسد هصور كأن ذراعه مسد مضفور

فتطاعنا وتوافقت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما سمعت الرعيل برزت من الصرح بصبر قد عيل فسألت عن الواحد فقيل لحده اللاحد

فكرت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا

عبثن به فلم تترك الا * أديما قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبده تأسفا ولا أعظم كمدا وتلهفا (قال المؤلف) وقلت في مثل ذلك وما أم طفل قذفها الزمن العنيد ببعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك كثيرة المهالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت في طلب ماء للغلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير فأثرا طي بوارك تدل على الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها عيون اليه متطلعة فلما أشرفت بجانب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب

بأكثر مني حسرة وتلهفا * وأكثر مني حرقة وتفجعا

وأغزر دمعا عندما قيل لي الذي * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وقد سمى بعض المتأخرين هذا القسم النفي والجحود وذكر ابن أبي الاصبع في التفريع قسما ذكره في صدر هذا الباب وقال انه هو الذي استخرجه وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة هي اسم أو صفة ثم يكررها في البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع عليها جملة من المعاني في المدح وغيره كقول المتنبي

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء * أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان

أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي * أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد الجنان

وفيما ذكره نظر لانه من باب تعداد الصفات أشبه

(نفي الشيء بايجابه) وهو أن يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته كقول امرئ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا ساقه العود النباطي جرجرا

نفي الشيء بايجابه

وظاهر هذا الكلام يقتضي اثبات منار لهذه الطريق ونفي به الهداية مجازا وباطنه في الحقيقة يقتضي نفي المنار جملة والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار ما اهتدى به فكيف ولا منار لها كما تريد أن تقول لمن تسأله الخير ما أقل خيرك فظاهر كلامك يدل على اثبات خير قليل وباطنه نفي الخير كثيره وقليله ومن أمثلة هذا الباب أيضا قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار وكان نديما له

خفيف بهم طلقا براح الى الندى * اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

ضعيف بحث الكأس قبض بنانه * كليل على وجه النديم أظافره

وظاهر هذا أن للممدوح مفاقر لم تحتضره اذا انتشى وان له أظافر تخمش وجه النديم خمشا ضعيفا وباطن الكلام في الحقيقة نفي المفاقر جملة والاظافر بتة

الايداع

(الايداع) وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه الا أنه مخصوص بالنثر وبأن يكون المودع نصف بيت اما صدرا واما عجزا ومنه قول علي رضي الله عنه في جواب كتاب لمعاوية ثم زعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

الادماج

(الادماج) هو أن يدمج المتكلم غرضا له في جملة معنى من المعاني قد نحاه ليوهم السامع أنه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده كقول عبد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين ورد المعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب الى ابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان في ضمن التهنئة وتلطف في المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال

سلامة الاختراع

(سلامة الاختراع) وهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه كقول عنترة في الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وكقول عدي بن الرقاع في تشبيه ولد الظبية

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وقول النابغة في وصف النسور

تراهن خلف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ في مسوك الارانب

وكقول السيد الحميري في علي عليه السلام

لكن أبو حسن الله أيده * ما زال عند اللقا للطعن معتادا

اذا رأى معشرا حربا لأنعمهم * انامه الريح في أيامهم عادا

ومن اختراعات المحدثين قول أبي تمام

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقول ابن الحجاج

تراني والمولى الذي أنا عبده * طريقان في أمره طرفان

وباطنها القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم في بعض الاشراف

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فان ألفاظ البيت الاول على انفرادها لا تكاد تصلح الا للمدح والبيت الثاني لا يفهم منه مدح ولا ذم بل هو الى باب الادب أقرب فحصل من اجتماعهما معنى لا يوجبه واحد منهما على انفراده ولبعضهم في الشريف ابن الشجري

يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
ما فيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

(العنوان) وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة كقول أبي نواس

يا هاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم في اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النؤي والوتد

وقد أتى أبو نواس في هذه الابيات بعدة عنوانات منها قصة محمد بن أبي بكر وقتل حجر أبي امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد هجوه وعيرا له هو بما أشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه

وقد ولك في يوم الكلاب وشققوا * فيه المزاد بجحفل غلاب
وهم بعين أباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحراب
وليالي الثرثار والحشاك قد * جلبوا الجياد لواحق الاقراب
فمضت كهولهم ودبر أمرهم * أحداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك

لك في رسول الله أعظم أسوة * وأجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم * كملا ورد أخايذ الاحزاب
والجعفريون استقلت ظعنهم * عن قومهم وهم نجوم كلاب
حتى اذا أخذ الفراق بقسطه * منهم وشط بهم عن الاحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهم * أكنافها رجعوا الى جواب
فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا * عن ذكر أحقاد وذكر ضباب

فانظر الى ما أتى به أبو تمام في هذه الابيات من العنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب كيوم الكلاب وأخبار بني جعفر بن كلاب ورجوعهم الى ابن عمهم جواب وكقوله أيضا لاحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد

وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم في بعض الاشراف

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فان ألفاظ البيت الاول على انفرادها لا تكاد تصلح الا للمدح والبيت الثاني لا يفهم منه مدح ولا ذم بل هو الى باب الادب أقرب فحصل من اجتماعهما معنى لا يوجبه واحد منهما على انفراده ولبعضهم في الشريف ابن الشجري

يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
ما فيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

(العنوان) وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة كقول أبي نواس

يا هاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم في اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النؤى والوتد

وقد أتى أبو نواس في هذه الابيات بعدة عنوانات منها قصة محمد بن أبي بكر وقتل حجر أبي امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد هجوه وعيرا لمهجو بما أشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه

وفدوك في يوم الكلاب وشققوا * فيه المزاد بجحفل غلاب
وهم بعين أباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحراب
ولياليَ الثرثار والحشاك قد * جلبوا الجياد لواحق الاقراب
فمضت كهولهم ودبر أمرهم * أحداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك

لك في رسول الله أعظم أسوة * وأجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم * كملا ورد أخاير الاحزاب
والجعفريون استقلت ظعنهم * عن قومهم وهم نجوم كلاب
حتى اذا أخذ الفراق بقسطه * منهم وشط بهم عن الاحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهم * أكنافها رجعوا الى جواب
فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا * عن ذكر أحقاد وذكر ضباب

فانظر الى ما أتى به أبو تمام في هذه الابيات من العنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب كيوم الكلاب وأخبار بني جعفر بن كلاب ورجوعهم الى ابن عمهم جواب وكقوله أيضا لاحمد بن أبي دؤاد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد

وقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ومن أحسن ما سمعت فيه قول شجاع الثرا

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القلب

(القلب) منه في التنزيل قوله تعالى كل في فلك وربك فكبر وقولهم ساكب كاس وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل سر فلا كبا بك الفرس وجواب القاضي الفاضل له دام علا العماد والظاهر أن القاضي الفاضل استشهد بها فانها في أول قصيدة للارجاني مطلعها دام علا العماد ومن ذلك قول الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقد بنى الحريري بعض مقاماته على ذلك

التنديد

(التنديد) وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر وغالب ما يقع في الهزل كقول أبي تمام فيمن سرق له شعرا

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل من عامر أم من الحا * رث أم من عتيبة بن شهاب

انما الضيغم الهصور أبو الا * شبال هتاك كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري * وهو للحين راتع في كتابي

يا عذارى الكلام صرتن من بعـ * ـدي سبايا تبعن في الاعراب

لو ترى منطقي أسيرا لاصبحـ * ـت أسيرا ذا عبرة واكتئاب

طال رغبي اليك مما أقاسيـ * ـه ورهبي يا رب فاحفظ ثيابي

ومن لطيف ما وقع في ذلك قول شهاب الدين بن الخيمي يعرض بنجم الدين بن اسرائيل لما تنازعا في القصيدة المعروفة بابن الخيمي وهي يا مطلبا ليس لي في غيره أرب فقال من قطعة

هم العريب بنجد مذ عرفتهم * لم يبق لي معهم مال ولا نشب

فما المروءة أحيى آل أم بهم * الا أغاروا على الابيات وانتهبوا

لم يبق منطقه قولا يروق لنا * الا شكت ظلمه الاشعار والخطب

الاسجال بعد المغالطة

(الاسجال بعد المغالطة) هو أن يقصد الشاعر غرضا من ممدوح فيشرط لحصوله شرطا ثم يقدر وقوع ذلك الشرط مغالطة ليحصل به استحقاق مقصوده كقول بعض المحدثين

جاء الشتاء وما عندي لقرته * الا ارتعادي وتصفيق بأسناني

فان هلكت فمولانا يكفنني * هبني هلكت فهبني بعض أكفاني

الافتنان

(الافتنان) هو أن يأتي الشاعر بفنين متضادين من فنون الشعر ببيت واحد مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فأما ما جمع فيه بين النسيب والحماسة فكقول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المستلئم

وكقول أبي دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك يا جنان وأنت مني * محل الروح من جسد الجبان
ولو أني أقول محل روحي * لخفت عليك بادرة الزمان

ومما جمع بين تهنئة وتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية يعزيه بأبيه ويهنيه بالخلافة

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ومن أحسن ما ورد في ذلك قول أبي نواس للفضل بن الربيع يعزيه في الرشيد ويهنيه بالأمين

تعز أبا العباس عن خير هالك * بأكرم حي كان أو هو كائن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

وأمثلة ذلك كثيرة والكاتب أشد احتياجا اليه من غيره ومن أمثلة ذلك ما كتبته تهنئة وتعزية لمن رزق ولدا ذكرا في يوم ماتت له فيه بنت ولا عتب على الدهر فيما اقترف فقد أحسن الخلف واعتذر عما وهب عما سلب فعفى الله عما سلف

الإبهام

(الإبهام) وهو أن يقول المتكلم كلاما يبهم ما يحتمل معنيين متضادين كقول بعض الشعراء في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بابنته بوران

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن * يا امام الهدى ظفرت ولكن ببنت من

فلم يعرف مراده ببنت من هل هو في الرفعة أو الضعة ومنه قول بشار في خياط أعور اسمه عمرو

خاط لي عمرو قباء * ليت عينيه سواء

فانه أبهم المعنى في الدعاء له والدعاء عليه

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

(حصر الجزئي والحاقه بالكلي) هو كقول السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فأما حصر أقسام الجزئي فان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وأما جعله الجزئي كليا فلأن الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وقد نظم هذا المعنى جماعة وهذه الأبيات من أحسنها

المقارنة

(المقارنة) وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك من المعاني بوصل يخفى أثره الا على مدمن النظر في هذه الصناعة وأكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية كقول بعض شعراء المغرب

وكنت اذا استنزلت من جانب الرضى * نزلت نزول الغيث في البلد المحل
وان هيج الأعداء منك حفيظة * وقعت وقوع النار في الحطب الجزل

فانه لائم بين الاستعارة والتشبيه المفروع الأداة في صدري بيتيه وعجزيهما وأما ما قرنت به الاستعارة بالمبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أعيرته المنية قاطع

فان في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة وانما التي في العجز أبلغ لما اقترن فيه الا رداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل

لدن غدوة حتى نزعنا عشية ۞ وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

فانه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب واستعار للشطر الثاني المدنف

(الابداع) وهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملة وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع قال ابن أبي الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وهي قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وهي المناسبة التامة بين أقلعي وابلعي والمطابقة بذكر الارض والسماء والمجاز في قوله تعالى يا سماء فان المراد والله أعلم يا مطر السماء والاستعارة في قوله تعالى أقلعي والاشارة في قوله تعالى وغيض الماء فانه عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة والتمثيل في قوله سبحانه وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له والارداف في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا بلفظ قريب من لفظ المعنى والتعليل لان غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم اذا استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الارض وغيض الماء الحاصل على ظهرها والاحتراس في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراسا من ضعيف العقل يتوهم أن العذاب يشمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء كونهم مستحقين والايضاح في قوله تعالى القوم ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة حيث قال وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم أن لفظة القوم ليست فضلة وانه يحصل بسقوطها اللبس في الكلام والمساواة لان لفظ الآية لا يزيد على معناها وحسن النسق لانه سبحانه وتعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب وائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها والايجاز لانه سبحانه وتعالى اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشئ في أقصر عبارة والتسهيم لان أول الآية الى قوله أقلعي يقتضي آخرها والتهذيب لان مفردات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن عليها رونق الفصاحة سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير والتمكين لان الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقي مجموع الآية من الابداع وهو الذي سمي به هذا الباب فهذه الآية سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها

(الانفصال) وهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه فيأتي بعده بما ينفصل به عن ذلك الدخل كقول أبي نواس

الابداع

والتهذيب

الانفصال

ان ابليس أراه * فى الورى عنك يصد

ليس من تقوى ولكن * ثقل فيك وبرد

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلو الاحتراس من المدخل عليه من كل وجه

التصرف

(التصرف) هو أن يتصرف المتكلم فى المعنى الذى يقصده فيبرزه فى عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه وآونة بلفظ الارداف وحينا بلفظ الحقيقة كقول امرئ القيس يصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

فانه أبرز هذا المعنى بلفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال

فيا لك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الارداف فقال

كأن الثريا علقت فى نظامها * بأمراس كتان الى صم جندل

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وهذا يدل على قوة الشاعر وتمكنه

الاشتراك

(الاشتراك) منه ما ليس بحسن ولا بقبيح وهو الاشتراك فى الالفاظ مثل اشتراك الاثير وأبى نواس فى لفظة الاستعفاء فقال الاثير فى مرثية أخيه

وقد كنت استعفى الاله اذا اشتكى * من الاجر لى فيه وان عظم الاجر

وقال أبو نواس ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ما تقل جفونها

ومنه الحسن وهو الاشتراك فى المعنى كقول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير محلل

وقول ذى الرمة كحلاء فى برج صفراء فى دعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فوقع الاشتراك بينهما فى وصف المرأة بالصفرة غير أن الاول شبه الصفرة ببيضة النعامة والآخر بالفضة المموهة بالذهب ومن الاشتراك المعنوى ما ليس بحسن ولا معيب كقول كثير

وأنت التى حببت كل قصيرة * الى وما تدرى بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شر النساء البحاتر

فان لفظة قصيرة مشتركة فلو اقتصر على البيت الاول لكان الاشتراك معيبا ولكنه لما أتى بالبيت الثانى زال العيب مع أنه نعته فى البيت بسبب التضمين نازلا عن رتبة الحسن

التهكم

(التهكم) منه قول الوجيه الذروى فى ابن أبى حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهى فى الحسن من صفات الهلال

وكذاك القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى

واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال

وأرى الانحناء في مخلب البازي * ولم يعد مخلب الرئبال

سيكون الله حسبه قبل ان شئت من الافضل أو من الافضال

فاتشر بوة على طود عالم * وأنت صوحة بجسر نوال

ما رأتها النساء الا تمنت * لو غدت حلية لكل الرجال

ثم ختمها بقوله * واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزور نابي الخيال

وكقول ابن الرومي * فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد ان التهكم ظاهره جد وباطنه هزل والهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا

التدبيج

(التدبيج) هو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون فمن ذلك قول الحريري في بعض مقاماته مذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وهذا التدبيج بطريق التورية ومن أمثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقي

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو قتال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الأكناف حمر النصال

الموجه

(الموجه) هو أن يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

وكقوله * عمر العدو اذا لاقاه في رهج * أقل من عمر ما يحوي اذا وهبا

فأول البيتين وصف بفرط الشجاعة وآخر الاول بعلو الدرجة وآخر الثاني بفرط الجود

تشابه الأطراف

(تشابه الأطراف) هو أن يجعل قافية بيته الاول أول بيته الثاني وقافية الثاني أول الثالث وهكذا الى انتهاء كلامه ومن أحسن ما سمع فيه قول ليلى الاخيلية تمدح الحجاج

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجالها * دماء رجال يحلبون صراها

وهذا ما اتفق ايراده في هذا الكتاب من علوم المعاني والبيان والبديع ليتأمله المرتاح لهذه الصناعة ويستعمل ذلك في كلامه مع أن تسمية هذه الانواع تختلف ولا مشاحة في التسمية كما ذكر قدامة في كتابه وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالاقتباس والاستشهاد والحل على أن منهم من يجعل الاقتباس في النظم أيضا

الاقتباس

(فالاقتباس) أن يضمن الكلام شيأ من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به كما في خطب ابن نباتة كقوله فيا أيها الغفلة المطرقون أما انتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وكقوله أيضا يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لجهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس

ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وكقول غيره
أتظنون أنكم دون غيركم تخلدون كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكقول الحريري
فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب وقوله أنا آتيكم بتأويله وأميز
صحيح القول من عليله ومن ذلك ما أوردته في تقليد من الإمام الحاكم * وجمع بك شمل الأمة
بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم وعضدك لإقامة إمامته أولياء دولتك الذين رضي الله
عنهم وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون وأظهرك
على الذين ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون
(ومن تقليد آخر حاكمي للملك المنصور حسام الدين) وجعل عدوه وإن أعرض عن طلبه
بجيوش الرعب محصورا وكفاه بالنصر على الأعداء التوغل في سفك الدماء فلم يسرف في
القتل إنه كان منصورا (ومن ذلك في خطبة صداق) اقتربت به الأباعد واتصلت به الأنساب
اتصال العضد بالساعد وأحيا الله به الأمم وقد تقضى حينهم وجمع به بين متفرقين ولو أنفقت
ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وقلت في توقيع إمام) وليعلم أنه
يكون في المحراب مناجيا لربه واقفا بين يدي من يحول بين المرء وقلبه * وأمثلة ذلك كثيرة
وأما شواهده وأمثلته في النظم فلم أر أن أذكرها والاقتباس من الحديث كقول الحريري
وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقوله) شاهت الوجوه وقبح اللكع
ومن يرجوه والاستشهاد بالآيات مع التنبيه عليها كقول الحريري فقلت وأنت أصدق
القائلين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وفي الأحاديث بالتنبيه عليها أيضا كقولي في تقليد
حاكمي ونصلي على سيدنا محمد الذي استخرجه الله من عنصر أهله وذويه وشرف قدر جده
بقوله فيه إن عم الرجل صنو أبيه وسره بما أسر إليه من أن هذا الأمر فيهم ويختم ببنيه
وأمثال ذلك لا تحصر * (وأما الحل) * فهو باب يتسع على المجيد مجاله ويتصرف في كلام العارف
برويته وارتجاله وملاك أمر المتصدي له أن يكون كثير الحفظ للأحاديث النبوية والآثار
والأمثال والأشعار ليتفق منها وقت الاحتياج إليها وكيفية الحل أن تتوخى هدم البيت
المنظوم وحل فرائده من سلكه ثم ترتيب تلك الفرائد أو ما شابهها ترتيبا متمكنا لم يحصره
الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها في أحسن سلك وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما
يناسبها من أنواع البديع إذا أمكن ذلك من غير كلفة ويتخير لها القرائن وإذا تم معه المعنى المحلول
في قرينة واحدة فيضم له من حاصل فكره أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه وله أن ينقل المعنى
إذا لم يفسده إلى ما شاء فإن كان ذميما وتأتى له أن يجعله مديحا فليفعل وكذلك غيره من
الأنواع وإذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها
فمتى قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا وإذا حل باللفظ فلا يتصرف
بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك واجتناب ما ينقص المعنى
أو يحط رتبته وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه وإنما أوردنا الآن من أمثلة ذلك ما يقاس
عليه ولا حجر على المتصرف فيه * فمما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قول ضياء الدين ابن

الاثير في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير * وهذه لابتداء ضعفي خبر وانقوس ظهري
وتر واذا كان القاؤها دليلا على الاقامة فان حملها دليل على السفر والمحاول في ذلك
قول بعضهم * كانني قوس رام وهي لي وتر * وقول الآخر

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ومما خفي وجه الحل فيه بحسن التصرف قول فخر القضاة بن بصاقة قتيل الجفون الفواتر في
سبيل حبه كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربه الا أن هذا يغسل بدموعه وهذا
يزمل بنجيعه وهذا في حال حياته ميت يرمق وهذا في مماته حي يرزق فالطف التصرف
في معنى الحديث في الشهيد وانه يدفن على حاله من غير تغسيل ومعنى الآية في قوله تعالى بل
أحياء عند ربهم يرزقون وزاد ضياء الدين الخفاء بقوله دمع المحب ودم القتيل متساويان
في التشبيه والتمثيل الا أن بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وأما ما يحتاج فيه الى مواخاة
القرينة المحلولة بمثلها أو بما يناسبها فكما حللت في تقليد فقلت * فكم من ضوء الصبح عما يغيره
(ثم قلت) وطلا من النقع عما يسيره (وقلت) وحديد الهند عما يلاطمه (ثم قلت) والاجل
عما يسابقه الى قبض النفوس ويزاحمه والقرينتان الاوليان نصفا بيتين للمتنبي فاضفت
الى كل قرينة ما يناسبها وهذا أكثر ما يستعمل في الكتابة ومع ذلك فالتصرف في الحل له
ان ينقل البيت الذي يقصد حله الى ما شاء من المعاني كما أبين ان شاء الله تعالى وهو ان بيت
ابن الرومي في وصف الحديث وهو * وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز *
حللته في وصف السيوف فقلت وكفى السيوف فخرا أنها للجنة ظلال والى النصر مآل واذا
كان من بيان الحديث سحر فان بيان حديثها ممن كلمته هو السحر الحلال ثم نقلته الى وصف
الاسنة فقلت حسب أسنة الاسنة شرفا أن كشف خبايا القلوب بذم الامها وأن بث اسرار
الضمائر بكرم روايته الاعنها فكرر حديثك في ذلك لا يفضي الى ملال واذا لم يكن
حسن حديثها الذي يسحر الالباب بما يحل فليس في الحديث سحر حلال * ثم نقلته الى وصف
البلاغة فقلت * البلاغة تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل الهواء المدرك
بالسمع لانسجامه وعذوبته في الذوق نهرا لكنه سحر لم يجن قتل المسلم المتحرز فتأول في حله
واذا كان من الحديث ما هو عقلة للمستوفز فهذا الشرطة نشاط البليغ وحل عقال عقله
* ونقلته الى وصف الكتابة فقلت * خطه شرك العقول وقيد تشغل الناظر
بملاحة المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المنقول ولو لم يكن البيان سحرا لما تجسدت منه
في طرسه هذه الدرر ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النفس عما يهتدى به من
هذه الاوضاح والغرر * وقد نوعت لك من حل هذا البيت ما يدلك على انه لا حجر عليك في نقل
المحلول الى أي معنى شئت اذا دفعت الى ذلك في الكتابة ووضعت في كل مكان ما يناسبه
اذا كان لك ذهن متصرف وملكة مطاوعة ولا ينبغي أن تعتمد في جميع كتابتك على الحل
فيتكل خاطرك على ذلك و يذهب رونق الطبع السليم وتقل مادة الانسجام بل يكون
استعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفوا من غير تكلف ليكون مثل الشاهد على صحة

الأثير في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير * وهذه لمبتدأ ضعفي خبر وأقوس ظهري
وتر وإذا كان إلقاؤها دليلا على الإقامة فإن حملها دليل على السفر والمحاول في ذلك
قول بعضهم * كأنني قوس رام وهي لي وتر * وقول الآخر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

ومما خفي وجه الحل فيه بحسن التصرف قول فخر القضاة بن بصاقة قتيل الجفون الفواتر في
سبيل حبه كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربه إلا أن هذا يغسل بدموعه وهذا
يزمل بنجيعه وهذا في حال حياته ميت يرمق وهذا في مماته حي يرزق فالطف التصرف
في معنى الحديث في الشهيد وأنه يدفن على حاله من غير تغسيل ومعنى الآية في قوله تعالى بل
أحياء عند ربهم يرزقون وزاد ضياء الدين الخفاء بقوله دمع المحب ودم القتيل متساويان
في التشبيه والتمثيل إلا أن بينهما فرقا لأنهما يختلفان لونا وأما ما يحتاج فيه إلى مواخاة
القرينة المحلولة بمثلها أو بما يناسبها فكما حللت في تقليد فقلت * فكم حل ضوء الصبح عما يفريه
(ثم قلت) وظلام النقع عما يسيره (وقلت) وحديد الهند ما يلاطمه (ثم قلت) والأجل
عما يسابقه إلى قبض النفوس ويزاحمه والقرينتان الأوليان نصفا بيتين للمتنبي فأضفت
إلى كل قرينة ما يناسبها وهذا أكثر ما يستعمل في الكتابة ومع ذلك فالتصرف في الحل له
أن ينقل البيت الذي يقصد حله إلى ما شاء من المعاني كما أبين إن شاء الله تعالى وهو أن بيت
ابن الرومي في وصف الحديث وهو * وحديثها السحر الحلال لو أنه * لم يجن قتل المسلم المتحرز *
حللته في وصف السيوف فقلت وكفى السيوف فخرا أنها للجنة ظلال وإلى النصر مآل وإذا
كان من بيان الحديث سحر فإن بيان حديثها ممن كلمته هو السحر الحلال ثم نقلته إلى وصف
الأسنة فقلت حسب أسنة الأسنة شرفا أن كشف خبايا القلوب بذم ألامها وأن بث أسرار
الضمائر بكرم روايته الاعنها فكم رحديثك في ذلك لا يفضي إلى ملال وإذا لم يكن
حسن حديثها الذي يسحر الألباب بما يحل فليس في الحديث سحر حلال * ثم نقلته إلى وصف
البلاغة فقلت * البلاغة تسحر الألباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل الهواء المدرك
بالسمع لانسجامه وعذوبته في الذوق نهرا لكنه سحر لم يجن قتل المسلم المتحرز فما أول في حله
وإذا كان من الحديث ما هو عقلة المستوفز فهذه النشرطة نشاط البليغ وحل عقال عقله
* ونقلته إلى وصف الكتابة فقلت * خطه شرك العقول وفتنة تشغل الناظر
بملاحة المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المنقول ولو لم يكن البيان سحرا لما تحسدت منه
في طرسه هذه الدرر ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النفس عما يهتدى به من
هذه الأوضاح والغرر * وقد نوعت لك من حل هذا البيت ما يدلك على أنه لا حجر عليك في نقل
المحلول إلى أي معنى شئت إذا دفعت إلى ذلك في الكتابة ووضعته في كل مكان ما يناسبه
إذا كان لك ذهن متصرف وملكة مطاوعة ولا ينبغي أن تعتمد في جميع كتابتك على الحل
فيتكل خاطرك على ذلك ويذهب رونق الطبع السليم وتقل مادة الانسجام بل يكون
استعمالك ذلك كاستعمال البديع إذا أتى عفوا من غير تكلف ليكون مثل الشاهد على صحة

(واذا كتب) عن السلطان في أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم فليبسط القول في وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة وطي المراحل ومعاجلة العدو وتقريب أسباب النصر والوثوق بعوائد الله في الظفر وتقوية القلوب منهم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحضهم على حفظ ما بأيديهم من ذلك وما أشبهه ويبرز ذلك في أبين كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وأبعده من اللين والرقة ويبالغ في وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه في تثبيت الاقدام والاعتصام به في الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه في خذلانهم وزلزلة أقدامهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ورجاء تأخرهم والتماس المرضيات في تخلفهم لما في ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم واستشعار الوهن والخوف منهم (فمن ذلك ما كتبته في صدر كتاب سلطاني الى بعض نواب الثغر عند حركة العدو) أسدرناها ومنادي النفير قد أعلن يا خيل الله اركبي ويا ملائكة الرحمن اصحبي ويا وفود التأييد والظفار اقربي والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب الى العدى والهمم قد نهضت الى عدو الاسلام فلو كان في مطلع الشمس لاستقر بشعابها وبينه من المدى والسيوف قد أنفت من الغمود فكانت تفر من قربها والاسنة قد طمحت الى موارد القلوب فتشوقت الى الارتواء من قلبها والكماة قد زأرت كالليوث اذا دنت فرائسها والجياد قد مرحت لما عودتها من الاشتمال بجماجم الابطال فوارسها والجيوش قد كاثرت النجوم اعدادها وسار بها الهجوم على أعداء الله من ملائكته الكرام أمدادها والنفوس قد أضرمت الحمية الدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين من برد الثغور وطيب شنبها والنصر قد أشرقت في الوجود دلائله والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخايله وحسن اليقين بالله في اعزاز دينه قد أنبأت بحسن المآل أوائله والالسن باستنزال نصر الله لهجة والارجاء بأرواح القبول أرجة والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الامة مبتهجة والحماة وما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه والثبات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعه والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ومن كان مع الله كان الله معه وما بقي الا طي المراحل والنزول على أطراف الثغور نزول الغيث على البلد الماحل والاحاطة بعدو الله من كل جانب وابدال نفوسهم على حكم الامرين الآخرين من عذاب واصب وهم ناصب واحالة وجودهم الى العدم واجالة السيوف التي ان أنكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم واسطلامهم على أيدي العصابة المؤيدة بنصر الله في حربها وابلائهم من حملاتها بريح عاد التي تدمر كل شئ بأمر ربها فليكن مترقبا لطلوع طلائعها عليه متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذي ان فر أدركته من ورائه وان ثبت أخذته من بين يديه وليجتهد في حفظ ما قبله من الاطراف وضمها وجمع سوام الرعايا من الاماكن المخوفة ولمها واصلاح ما يحتاج الى اصلاحه من مسالك الارباض المتطرفة وردمها ذات الاحتياط على كل حال من آكد المصالح الاسلامية وأهمها فكأنه بالعدو وقد زال

(واذا كتب) عن الملك فى أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم
فليبسط القول فى وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة العساكر والجيوش
وسرعة الحركة وطى المراحل ومعاجلة العدو وتقريب أسباب النصر والوثوق بعوائد الله فى
الظفر وتقوية القلوب منهم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحضهم على حفظ ما بأيديهم
من ذلك وما أشبهه ويبرز ذلك فى أبين كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وأبعده
من اللين والرقة ويبالغ فى وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه
فى تثبيت الاقدام والاعتصام به فى الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه فى خذلانهم
وزلزلة أقدامهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ورجاء تأخرهم
والتعلل بالمرضيات فى تخلفهم لما فى ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم واستشعار الوهن
والخوف منهم (فمن ذلك ما كتبته فى صدر كتاب سلطانى الى بعض نواب الثغر عند حركة العدو)
أصدرناها ومنادى النفير قد أعلن بيا خيل الله اركبى ويا ملائكة الرحمن اصحبى ويا وفود
التأييد والظفر اقربى والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب الى العدى والهمم قد نهضت
الى عدو الاسلام فلو كان فى مطالع الشمس لاستقرب ما بينها وبينه من المدى والسيوف
قد أنفت من الغمود فكانت تنفر من قربها والأسنة قد طمحت الى موارد القلوب فتشوقت
الى الارتواء من قلبها والكماة قد زأرت كالليوث اذا دنت فرائسها والجياد قد مرحت لما
عودتها من الانتعال بجماجم الابطال فوارسها والجيوش قد كاثرت النجوم اعدادها وسار
بها الى الهجوم على أعداء الله من ملائكته الكرام أمدادها والنفوس قد أضرمت الحمية
الدين نار غيظها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين من برد الثغور ولهيب شنها والنصر
قد أشرقت فى الوجود دلائله والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخايله وحسن اليقين بالله فى
اعزاز دينه قد أنبأت بحسن المآل أوائله والالسن باستنزال نصر الله لهجة والأرجاء
بأرواح القبول أرجة والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الامة مبتهجة والحماة وما منهم
الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل
عن مكانه والنيات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعة والخواطر مطمئنة بكونها مع
الله بصدقها ومن كان مع الله كان الله معه وما بقى الا طى المراحل والنزول على أطراف الثغور
نزول الغيث على البلد الماحل والاحاطة بعدو الله من كل جانب وابدال نفوسهم على حكم
الاسرين الآخرين من عذاب واصب واحالة وجودهم الى العدم واجالة السيوف
التى ان أنكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم واصطلائهم على أيدى العصابة المؤيدة بنصر
الله فى حربها وابتلائهم من حملاتها بريح عاد التى تدمر كل شئ بأمر ربها فليكن مترقبا لطلوع
طلائعها عليه متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذى ان فر أدركته من ورائه وان ثبت
أخذته من بين يديه وليجتهد فى حفظ ما قبله من الاطراف وضمها وجمع سوام الرعايا من
الاماكن المخوفة ولمها واصلاح ما يحتاج الى اصلاحه من مسالك الارباض المتطرفة ورمها
فان الاحتياط على كل حال من آكد المصالح الاسلامية وأهمها فكأنه بالعدو وقد زال

طمعه وزاد ظلعه وذم عقباه وتحقق سوء منقلبه ومصيره وتبرأ منه الشيطان الذي دلاه بغروره وأصبح بلحمه موزعا بين ذئاب الفلاة وضباعها وبين عقبان الجو ونسوره فقد من وعد الذي مكننا منه باليقين وتحققنا ان الله ينصر من ينصره وان العاقبة للمتقين * وزيادة البسط في ذلك ونقصها بحسب المكتوب اليه (واذا كتب في التهاني بالفتوح) فليس الا بسط الكلام والاطناب في شكر نعم الله والتبري من الحول والقوة الا به ووصف ما أعطى من النصر وذكر ما منح من الثبات وتعظيم ما يسر من الفتح ثم ما وصف بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد من الملك وعن جيشه حسن وصفه فلائق ذكره ورائق التوسع فيه وعذب بسط الكلام فيه فانه مترتب على ما قدمنا من نسبة النصر الى واهبه والجلد الى معطيه والثبات الى الموفق له ثم كلما اتسع مجال الكلام في ذكر المواقف ووصفها كان أحسن وأدل على البلاغة وأدعى لسرور المكتوب اليه وأحسن لموقع النعمة عنده واشهى الى سمعه وأشفى لغليل شوقه الى معرفة الحال على جليته ولا بأس بتهويل أمر العدو ووصف جمعه واقدامه فان في تصغير أمره تحقيرا للظفر به * ومما اتفق في ذلك من المكاتبات في هذا العصر خاصة مالا تحصى كثرة وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة منفردة فينبغي أن يكون البسط أكثر والاطناب أمد والتهويل أبلغ والشرح أتم (فمن ذلك فصل كتبته في جواب ابن الاحمر صاحب الحمراء غرناطة من الاندلس) أما بعد حمد الله الذي أيدنا بجنوده وأنجز لنا من نصر الامة صادق وعوده وخصنا في استدامة الفتوح بمزايا مزيده وأيدنا بنصره ونصرنا بتأييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله وخاتم أنبيائه وأكرم عبيده وأعز من دعا الامم وقد أنكرت خالقها الى الاقرار بتوحيده وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق الدين منهم بكواكب سعوده فانا أصدرناها ونعم الله بنا مطيفة ومواقع نصره عندنا لطيفة وجنود تأييده لممالك الاعداء الى ممالكنا الشريفة مضيفة وثغور الاسلام بذبنا عن دين الله منيرة وبإعلائنا منار الهدى منيفة ونحن نحمد الله على ذلك حمد المستدر به اخلاف الظفر ونستديم به موادا التأييد على من كفر ونستهديه عوائد النصر التي كم تقدمها علينا اقدام وأسفر لنا عنها وجه سفر ونهدي اليه ثناء تعبق بنشر الرياض خمائله وتنطق بمحض الوداد مخائله ويشرق في أفق مفاخره غدواته وأصائله يشافه مجده بمصونه ويطارح فخره بمكنونه ويجلو على حضرته العلية عقائل الشرف من ابكار الهناء وعونه ونبدي لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا عن لوامع صفائه مبينا لجوامع وده ووفائه مشرقا بلآلئ فرائده محدقا بروض كرمه الذي سعد رأي رائده محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التي سارت بها اليه سرعان الركبان وذلت بعز ما تلى عليه منها عبادا الصلبان وطبق ذكرها المشارق والمغارب وفرقت مواكب أعداء الله التتار وهم في رأي العين أعداد الكواكب وخالطت التراب بدماءهم حتى لم يبح بها التيمم ومزجت بهول الفرات حتى ما يجدا الشارب وهي النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها ولا يعرف لها البلاغة مثلها ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ولا تنهض الالسنة على طول الابد بشكرها فان التتار المخذولين أقبلوا كالرمال واصطفوا كالجبال وتدفقوا كالبحار

الزواخر وتوالوا كالامواج التي لا يعرف اولها الاول من الآخر فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم وجعلت الطير أكلهم وحصرتهم في الفضاء وطالبت أرواحهم الكافرة بدين دينها فاسرفت في الاقتضاء وحصدت منهم جيوشنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف وشرقت بقيتهم في الفلوات فكانوا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف واحاطت بهم كتائبنا المنصورة فلم يبق الامن لا يدري له من فرقهم وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى الفرات بين القتل والاسر فلم يخرج عن تلك القسمة غير نفر بقوم وأعقبتهم تلك الكسرة أن هلك طاغيتهم أسفا وحسرة وجزنا على من قتل من تلك المقاتلة وأسر من تلك الاسرة وأماته الرعب من جيوشنا المنصورة فجاءه واستولى عليه الوجل ففاءه من أمر الله ما جاءه وقعد أخوه بعده مكانه والخوف من عساكرنا تضعضع أركانه والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه ويمزق اخوانه وهو هي سلطانه ويرى منه سلطانه فلا ذ بالا لتجاء الى صلحنا وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وصفحنا فكرر رسله ورسائله مستعطفا وواصل كتبه ووسائله مستعفيا من حربنا ومستعفيا وهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحمنا ويتوصلون ببذل الطاعة الى مكارمنا ويسألون منح الصفاح الاسلامية عن رقابهم ويبدون ما أظهره الله عليهم من الفل الذي جعلته تلك النصرة خالدا في أعقابهم وسيوفنا تأبى قبول رسائلهم وتصر على رسائلهم وتمتنع من الكف عن مقاتلهم وتأنف أن تغمد الا في قمم محاربهم ومقاتلهم ونحن على ما نحن عليه من الاهبة لغزوهم في عقر دارهم وانتزاع مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الاسلام من بين يديهم والظفر بهم مستنصرين بالله على من بقي في خط الشرق منهم قائمين فيهم بفرض الجهاد الذي لولا دفاع الله بنا لم يمتنع خط المغرب عنهم ولينصرن الله من ينصره وان عددنا نعم الله علينا جا ولنا عدها لا نحصيه ولا نحصر ده وان اضطر أن يكتب بمثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم في ذلك أن يذكر من أسباب المودة ما يقتضي المشاركة في المسار وان أمر هذا العدو مع كثرته أخذ بأطراف الانامل وآل أمره الى ما آل ويعقلم ذكر ما جرى عليه من القتل والاسر وتلك عوائد نصر الله لنا وانتقامه ممن عادانا (ومن ذلك) صورة كتاب لبعض ملوك البحر كرر يكتب به وهو صدرت هذه المكاتبة بشرة لها خصنا الله من نصره أجزل الصفات منها سهمه وأكمل الوفاء من التهنئة بما قسمه وخصه الوداد بأجمل أسرائها وأجلسه الاتحاد على أسرة مسرتها اذا أجلس العناد غيره على بساط عزائها علما بأنه الصديق الذي يبهجه مسار صديقه والصاحب الذي يرى مساهمة صاحبه في بشرى الظفر بأعدائه أدنى حقوقه وذلك انه قد علم ما كان من أمر هؤلاء التتار في حركاتهم الذميمة وعزماتهم التي اختلفوا اليها الا وكان آخر سلامتها الهزيمة وصارت التي ملحشد والها الا وقنعوا فيها بالاياب من الغنيمة وأنهم ما أقدموا علينا الا وعدموا ولا سلكوا الينا الا وهلكوا حتى أن الارض الى الآن لم تجف من دمائهم وأن الفرات يكاد يكشف للمتأمل عن اشلائهم وأن الشيطان بعد ذلك جدد طمعهم وسكن هلعهم من أنساهم مصارع اخوانهم وأسلافهم مجازين لهم من بلوغ أوطارهم عن أوطانهم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وتلك الوقائع التي أصبتم فيها

في ذلك الفضاء المتسع وضايقناهم كما قد رأى ومزقناهم كما قد سمع وأريناهم على حكم
السيف الذي نهل من دمائهم حتى روي وأكل من لحومهم حتى شبع وتبعتهم جيوشنا المنصورة
تتخطفهم رماحها وتتلقفهم صفاحها ويبددهم في الفلوات رعبها ويغرقهم في القفار
طعنها المتدارك وضربها ويقتل من فاتته السيوف منهم العطش والجوع ويخيل اليه
منهم أن وطنه كالدنيا التي ليس لابث اليها رجوع ولعله قد رأى من ذلك فوق ما وصف عيانا
وتحقق من كل ما جرى ما لا يحتاج أن نزيده به علما ولا نقيم له برهانا وقد علم أن أمر هذا العدو
المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة وأنهم ما أقدموا الا ونصرنا الله عليهم في مواطن كثيرة
وما ساقهم الاطماع في وقت ما الا الى حتوفهم ولا عاد منهم قط في وقعة الا آحاد تخبر عن
مصارع ألوفهم ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستدم نعم الله عليه بطاعتنا التي كان في مهاد
أمنها ووهاد يمنها وسحابة عفوها وبرد أفيائها التي كدرها بالمخالفة بعد صفوها يصون
رعاياه بالطاعة عن القتل والاسار ويحمي أهل ملته بالحذر عن الحركات التي ما نهضوا اليها
الا وجروا ذيول الخسار ولقد عرض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سطواتها في أمان
ووثق بما ضمن له التتار من نصره وقد رأى ما آل اليه أمر ذلك الضمان وجر لنفسه
عداوة التتار عنا بما كان عنه في غنى وأوقع روحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي
تخطفت أولياءه من هنا ومن هنا واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الامن عن منكبيه
واغتر هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وما هو
والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الاكاسرة وأنى لضعاف النقاد قدرة
على الثبات لوثبات الاسود الضارية والليوث الكاسرة لقد تعرض بين السهم والهدف
بنحره وتعرض للوقوف بين ناب الاسد وظفره وهو يعلم أنه مع ذلك يرعى له حقوق طاعة
أسلافه التي ماتوا عليها ويحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصل اليها
ويجريه أهل بلاده مجرى أهل ذمتنا الذين لا نيئسهم من عفونا ما استقاموا ونسلك بهم
مسلك من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا نزحوا أو أقاموا ونحن نتحقق أنه
ما ينسى ملازمة ربقة الحتف خناقه ولا يورد نفسه موارد الهلاك وهل يرجع الى الموت من
ذاته فيستدرك باب الانابة قبل أن يغلق دونه ويصون نفسه وأهله قبل أن تتبذل السيوف
الاسلامية مصونه ويبادر الى الطاعة قبل أن يبذلها فلا تقبل ويتمسك بأذيال العفو قبل
أن ترفع دونه فلا تسبل ويعجل بحمل أموال القطيعة والا كان أهله وأولاده في جملة ما يحمل
منها الينا ويسلم مفاتح ما داعليه من فتوحنا والا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر في بلاده بين
يدينا ويكون هو السبب في تمزق شمله وتفرق أهله وقلع بيته من أصله وهدم كنائسه
وابتذال نفسه ونفائسه واسترقاق حرمه واستخدام أولاده قبل خدمه واستقلاع قلاعه
واحراق ربوعه ورباعه وتعجيل رؤية ما وعد به قبل سماعه ومن انذار بأن يجاب الى مثل
ذلك أو يسمح له من الامن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك لينتفع بما أبقت
جيوشنا المؤيدة في يده من الخيل والخول ويعيش في الامن ببعض ما نسمح له به ومن العود

في ذلك الفضاء المتسع وضايقناهم كما قد رأى ومزقناهم كما قد سمع وأريناهم على حكم
السيف الذي نهل من دمائهم حتى روي وأكل من لحومهم حتى شبع ونبهتهم جيوشنا المنصورة
تتخطفهم رماحها وتتلقفهم صفاحها ويبددهم في الفلوات رعبها وتفرقهم في القفار
طعنها المتدارك وضربها ويقتل من فاتته السيوف منهم العطش والجوع ويخيل اليه
منهم أن وطنه كالدنيا التي ليس للابث اليها رجوع ولعله قد رأى من ذلك فوق ما وصف عيانا
وتحقق من كل ما جرى ما لا يحتاج أن نزيده به علما ولا نقيم له برهانا وقد علم أن أمر هذا العدو
المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة وأنهم ما أقدموا الا ونصرنا الله عليهم في مواطن كثيرة
وما ساقتهم الاطماع في وقت ما الا الى حتوفهم ولا عاد منهم قط في وقعة الا آحاد تخبر عن
مصارع ألوفهم ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستدم نعم الله عليه بطاعتنا التي كان في مهاد
أمنها ووهاد يمنها وحماية عفوها ويزدري أفقها التي كدرها بالمخالفة بعد صفوها يصون
رعاياه بالطاعة عن القتل والاسار ويحمي أهل ملته بالحذر عن الحركات التي ما نهضوا اليها
الا وجروا ذيول الخسار ولقد عرض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سطواتها في أمان
ووثق بما ضمن له التتار من نصره وقد رأى ما آل اليه أمر ذلك الضمان وجر لنفسه
عداوة التتار عنادا كان عنه في غنى وأوقع روحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي
تخطفت أولياءه من هنا ومن هنا واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الامن عن منكبيه
واغتر هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وما هو
والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الاكاسرة وأنى لضعاف النقاد قدرة
على الثبات لوثبات الاسود الضارية والليوث الكاسرة لقد تعرض بين السهم والهدف
بنحره وتعرض للوقوف بين ناب الاسد وظفره وهو يعلم أنه مع ذلك يرعى له حقوق طاعة
أسلافه التي ماتوا عليها ويحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصل اليها
ويجريه أهل بلاده مجرى أهل ذمتنا الذين لا تنالهم من عفونا ما استقاموا ونسلك بهم
مسلك من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا نزحوا أو أقاموا ونحن نتحقق أنه
ما ينسى ملازمة ربقة الحتف خناقه ولا يورد نفسه موارد الهلاك وهل يرجع الى الموت من
ذاقه فيستدرك باب الانابة قبل أن يغلق دونه ويصون نفسه وأهله قبل أن تبتذل السيوف
الاسلامية مصونه ويبادر الى الطاعة قبل أن يبذلها فلا تقبل ويتمسك بأذيال العفو قبل
أن ترفع دونه فلا تسبل ويعجل بحمل أموال القطيعة والا كان أهله وأولاده في جملة ما يحمل
منها الينا ويسلم مفاتح ما بيده من فتوحنا والا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر في بلاده بين
يدينا ويكون هو السبب في تمزق شمله وتفرق أهله وقلع بيته من أصله وهدم كنائسه
وابتذال نفسه ونفائسه واسترقاق حرمه واستخدام أولاده قبل خدمه واستقلاع قلاعه
وانعراق ربوعه ورباعه وتعجيل رؤية ما وعدناه قبل سماعه ومن اغتراره بأن يجاب الى مثل
ذلك أو يسمح له من الامن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك ليتمتع بما أبقت
جيوشنا المؤيدة في يده من الخيل والخول ويعيش في الامن ببعض ما تسمح له به ومن للعور

وابتل عطفه يطير بالغمز ويدرك بآثار باشنه مواقع الرمى ويعدو كألف الوصل فى استغنا،
مثلها عن الهمز ومن (أخضر) حكاه من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتأليفه
فذكيّاه النهار والليل حلتى وقار وسنا واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما
اجتمعا حسنا ومنحه البازى حلة وشيه ونحلته الرياح ونسماتها قرة ركضه وخفة مشيه
يعطيك أفانين الجرى قبل سؤاله واما لم يسابقه شئ من الخيل أغراه حب الظفر بمسابقة
خياله كأنه نقار يق شيب فى سواد عذار أو طوالع فجر خالط بياضه الدجى فما نجلى ومازج
ظلامه النهار فما أنار يختال لمشاركة اسم الجرى بينه وبين الماء فى السير كالسيل ويدل
بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ويكذب المانوية لتولد
اليمن بين اضاءة النهار وظلمة الليل ومن (أبلق) ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية
فوجود الفضاء بينه وبينها عدم وان صرف فى حرب فعمه ما يشاء البنان والعنان وفعله
ما تريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدى لونه ودلت على اجتماع
النقيضين علة كونه وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار وأخذ وصف حالتى الدجى
فى حالتى الابدار والسرار لا تشكل مناكبه ولا يضل فى غمرات الجيوش راكبه ولا يحتاج
ليله المشرق بمجاورة نهاره الى أن تسترشد فيه كواكبه ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ولا
يمل السرى الا اذا كل مشبهاه النهار والليل ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الاثر
فان جهدت فبالذيل فهو الابلق الفرد والجواد الذى لمجاريه العكس وله الطرد قد أغنته
شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها فى الاعتراف له جادة
الانصاف فترقى الملوك الى رتب العزمن ظهورها وأعدها لخطبة الجنان اذا الجهاد دعا بها
من أنفس مهورها وكاف بركوبها فكلما أكله عاد وكلما أمله شره اليه فلو أنه زيد الخيل لما
زاد ورأى من آدابها ما دل على أنها من أكرم الاصائل وعلم أنها اليوم سلمه وحربه جنة
الصائد وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها فى الجهاد لمقارعة
أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذى أفرده فى الندى بمذاهبه وجعل الصافنات
الجياد من بعض مواهبه (ومن ذلك ما قلته فى وصف السيف من تقليد) وقلدتهما منا
سيفا تلمع مخائل النصر من غمده وتشرق جواهر الفتح فى فرنده واذا سابق الاجل الى
قبض النفوس عرف الاجل قدره فوقف عند حده ومتى جرده على ملك من ملوك العدى
وهت عزائمه وعجز جناح جيشه أن تنهض به قوادمه وعلم أنه سيفنا الذى على عاتق الملك
الاعز نجاده وفى يد جبار السموات قائمه (ومن ذلك صورة كتاب يتضمن ذكر الصيد ووصف
الجوارح والضوارى وهو) لا زال بعينه يستنزل العصم من معاقلها ويسمع السهام الصم
ما تحدث به حركات الطير عن مقاتلها ويلجئ موادى الوحش الى سيوف أوليائه تشبيها
لترقرق ماء الفرند فيها بمناهلها ونهى انه سار الى الصيد موجها اقباله متيمنا بسعده
الذى ما برح يتلق بحباله ومعه من الجوارح كل باز شديد الاسر منيع على ما تصف به من
الكسر ينظر من نهار ويخطر فى ليل رقم به أديم نهار ذى صدر مدبج ورأس متوج

وابتل عطفه يطير بالغمز ويدرك بآثار باشته مواقع الرمز ويعدو كاف الوصل في استغنائه
مثلها عن الهمز ومن (أخضر) حكاه من الروض تفويفه ومن الوشي تقسيمه وتأليفه
قد كساه النهار والليل حلتي وقار وسنا واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما
اجتمعا حسنا ومنحه البازي حلة وشيه ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشيه
يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله واما لم يسابقه شيء من الخيل أغراه حب الظفر بمسابقة
خياله كأنه تفاريق شيب في سواد عذار أو طوالع فجر خالط بياضه الدجى فما يجي ومازج
ظلامه النهار فما أنار يختال لمشاركة اسم الجري بينه وبين الماء في السير كالسيل ويدل
بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ويكذب المانوية لتولد
اليمن بين اضاءة النهار وظلمة الليل ومن (أبلق) ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية
فوجود الفضاء بينه وبينها عدم وان صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله
ما تريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدي لونه ودلت على اجتماع
النقيضين علة كونه وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار وأخذ وصف حلتي الدجى
في حالتي الابدار والسرار لا تكل مناكبه ولا يضل في غمرات الجيوش راكبه ولا يحتاج
ليله المشرق بمجاورة نهاره الى أن تسترشد فيه كواكبه ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ولا
يمل السرى الا اذا كل مشبهاه النهار والليل ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الاثر
فان جهدت فبالذيل فهو الابلق الفرد والجواد الذي لمجاريه العكس وله الطرد قد أغنته
شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها في الاعتراف له جادة
الانصاف فترقى الملوك الى رتب العز من ظهورها وأعدها لخطبة الجنان اذا الجهاد دعليها
من أنفس مهورها وكاف بركوبها فكلما أكله عاد وكلما أملته ثمره اليه فلو أنه زيد الخيل لما
زاد ورأى من آدابها ما دل على أنها من أكرم الاصائل وعلم أنها اليوم سلمه وحربه جنة
الصائد وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها في الجهاد لمقارعة
أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذي أفرده في الندى بمذاهبه وجعل الصافنات
الجياد من بعض مواهبه (ومن ذلك ما قلته في وصف السيف من تقليد) وقلدته منا
سيفا تلمع مخايل النصر من غمده وتشرق جواهر الفتح في فرنده واذا سابق الاجل الى
قبض النفوس عرف الاجل قدره فوقف عند حده ومتى جرده على ملك من ملوك العدى
وهت عزائمه وعجز جناح جيشه أن تنهض به قوادمه وعلم أنه سيفنا الذي على عاتق الملك
الاعز نجاده وفي يد جبار السموات قائمه (ومن ذلك صورة كتاب يتضمن ذكر الصيد ووصف
الجوارح والضواري وهو) لا زال يمينه يستنزل العصم من معاقلها ويسمع السهام الصم
ما تحدث به حركات الطير عن مقاتلها ويجيء بوادي الوحش الى سيوف أوليائه تشبيها
آثر فرق ماء الفرند فيها اعناقها وينهي انه سار الى الصيد بما وجه اقباله متيمنا بسعده
الذي ما برح يتلق بحباله ومعه من الجوارح كل باز شديد الاسر صحيح على ما تصف به من
الكسر ينظر من نهار ويخطر في ليل رقم به أديم نهار ذي صدر مدبج ورأس متوج

ومخلب خطوف ومنسر كمدغ معطوف أسرع من هوج الرياح وأمضى من غروب الصفاح
يحط على الطير من عل ويسبق الى مقاتل الوحش كل رام من بني ثعل ومن الضوارى كل
حام أسبق من السهم وأخفى عند الوثبة من الوهم ذى خصر مجدول وساعد مفتول
وأنياب عصل وظفر أقطع من نصل ومن الفهود كل أهرت الشدق ظاهر الحذق بادى
العبوس مذربا لبوس شثن البراثن ذى أنياب كالمدى ومخالب كالمحاجن قد أخذ من
الفلق والغسق اهابا وتقمص من نجل الحدق جلبابا يضرب المثل فى سرعة وثوب الاجل به
وبشبهه وتكاد الشمس لتلقبها بالغزالة من الوجل لا تطلع على وجهه يسبق الى
الصيد مرامى طرفه ويفوت لحظ مرسله اليه فلا يستكمل النظر الا وهو فى كفه
وتقدمه الضوارى الى الوحش فاذا وثب له تقرت من خلفه ومعنا غلمة تحن بسهامهم
منها أوثق وهم باصابة شوا كل المراد من كل ماذكر أحذق اذا حسر كل منهم عن جبينه
أرانا القمر فى القوس وان نظم رمية نبل هذا حبيب وان لم يكن ابن أوس فالاح طائر
الاوله من السهام أجدل ووراءه من زجل الجوارح وجل ان أخطأه هذا أصاب ذاك
وربما كان لهما استهام فى تحسبه واشتراك وان سنح وحش فالسهام أدنى الى وريده من
قلادة جيده فان فات فالكلاب أعرف باختلاسه منه بكناسه وأسرع الى احتباسه من
رجيع أنفاسه والا فالفهد أسرع الى لحاقه من أجله وألزم لمنقه لو كان يعقل من حمله فظللنا
بين قدير مجل أوقديد موجل نمش بأعراف الجياد كفوفنا وتقرى من صواف الطير
وأصناف الوحش ضيوفنا وبتنا بين صيد تحصل وآخر يترقب وغدونا وكان عيون الوحش
حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب وقد أرسلنا اليه من ذلك ما تحقق به أن تجنه
أمارنا وأورى نارنا ويستدل به على حسن ظفرنا فى سفرنا وانارة توفيقنا فى طريقنا والله
تعالى لا يخلى منه مكان تأييد ويبلغه من السعادة فوق ما يريد بمنه وكرمه (ومن ذلك ما قلته
فى صفة حصن) قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا أصله فى
التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تنتقل فى أبراجه ويظن من سما الى السها أنه
ذبالة فى سراجه لا يعلوه من منتهى الطير غير نسر الفلك ومرزمه ولا يرمق متبرجات بروجه
غير عين شمسه والمقل التى تطرف من أنجمه وحوله من الجبال كل شامخ تهيب عقاب الجو
قطع عقابه وتقف الرياح حسرى اذا توقلت فى هضابه تخاف العيون اذا رمقته سلوك مادونه
من المحاجر ويتخيل الفكر صورة الترقى اليه ثم لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله
من الاودية خنادق لا تعلم منها الشهور الا بانصافها ولا تعرف فيها الاهلة الا بأوصافها
وطالما نهت الاحلام أن تخيل فتحه لمن سلف فى المنام فكم ذى جيوش قد أمات بغصة
وذى سطوات أعمل فى أمره الفكر فلم يفز من نظره على البعد بفرصه (ومن ذلك فى وصف
جيش) وسرنا بالجيش الذى لا يدرك الطرف حده ولا الوهم عده فكان ذوائب السحائب
عذب بنوده وكان شوامخ الاكام مناكب أبطاله ومواكب جنوده وما قصد عدوا الا وناداهم
قبل خيله خياله وقضى عليهم وعده ووعيده قبل أن ترهف أسنته أو ترعف نصاله واذا لمع

حدقته وخفقت شرفاته ونوده تبر هذا الغمام ان بثت بوارقه ودمدمت صواعقه أو بحر
تلاطمت أمواجه وقذف الشرر ماؤه وأجاجه أو سيل غصت به فجاجه وعكس أشعة
الشمس اضطرابه وارتجاجه وما علا جبلا الا وألحق نجوده اليه حزنه بالصعيد وما منع
الريح مواجهته الا ليسحب ذيل خيله من أقصى الروم من أقصى الصعيد (ومن ذلك) ما ذكرته
في وصف العدو بالذلة والخور والوهن في قتاله وما يظهرونه من الرهج بالحركة واعداد الاهبة
والاحتشاد وهو وأما رهج العدو المخذول بالحركة ورمي الصيت بأنه أعدته الصياح وقوة
الجنان في القول والقول يذهب في الرياح وقد علموا أنهم ما أقدموا الا وكان أحسن سلاحهم
الهرب ولا طمعوا في النجاح فكان لهم في غير النجاة أرب يا للفرق في الاحتشاد والجائر
لا يجوره كثرة الغنم ويستكثرون من السواد جنودا من لا يقع أشبه شيء بالعدم قوتهم ضعيفة
ووطأتهم خفيفة وثباتهم أقصر من حل العقال وصبرهم أسرع من الظل في الانتقال
وخيولهم لا تطيع أمر أعنتها الا في الفرار ورماحهم لا تعمل نصالها أسنتها الا في الخور
والانكسار وسهامهم لا تعمل الا بالمقاتل وصفاحهم كل شيء من القضب غيرها عكس وصفه
بانه قاتل فان دلاهم الشيطان بغروره فسيرى أنهم سريعا وان أطمعهم في اللقاء فستردهم
كلام سيوفنا كاقسام الكلام التي لا تتعدى نهيا وأسرا وصريعا (ومن ذلك في وصف الرمي
بالنشاب من خطبة) وبعد فان الرمي أفضل ما أعد للعدى وأكمل ما أفيض به على أهل
الكفر رداء الردى وأبلغ ما يبعث الى المقاتل من رسل المنون وأنفع ما يقتضى به في الوغا
من أعداء الدين الديون وأسرع ما تبلغ به المقاصد فيما يرى قريبا وهو أبعد ما يكون وأنكى
ما تقذف به عن الاهلة شهب الحتوف وأسبق ما تدرك به الاغراض قبل ان تعرف بها الرماح
أو تستقر بمكانها السيوف ما طلع في سماء النقع قوسه الا سحبت ذيل النبل ولا استبقت الآجال
سهامه الا وكان له من بلوغها السبق من بعد والسبق من قبل ومن شرف قدره الذي دل
عليه كلام النبوة ان النبي صلى الله عليه وسلم نبه على أنه المراد بقوله تعالى وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن أسباب فضله التي أصبح بها قدره ساميا وفخره ناميا وقطره في
أفق النصر هاميا ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لقبيلة من أسلم ارموا بني
اسمعيل فان أباكم كان راميا ومما عظمت به على الامة المنة وشهدت فيه نفوس أهل
الجهاد بالفوز في الدنيا والآخرة مطمئنة قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا الرمي فان ما بين
الغرضين روضة من رياض الجنة ومن فضل الرمي الذي لا يصرفه التأويل ما روي من
قوله صلى الله عليه وسلم من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب فكأنما أعتق رقبة من
ولد اسمعيل ومما رفع قدر السهم على غيره وفضله ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من أنه يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير وراميه ومنبله
ومما حضهم به على الرمي ليجتهدوا فيه ويدأبوا قوله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان
ترموا أحب الي من أن تركبوا ومن خصائص السهم أنه ذو خطوة في الهواء وحكم نافذ في
السماء وتصرف حتى في الوحش السانح في الارض والطير المحلق في السماء بكلم بلسان من

الارتحال على الاقامة فى الرحال وأخذا بقولهم

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

فبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتشير من الافق الغربى الى جانب رمسها وتغازل عيون النور بمقلة أرمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العود فكانها كئيب أضحى من الفراق على فرق أو عليل يقضى بين صحبه بقايا عمر بالرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حليته المموهة بذهب شعاعها

والطل فى أعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقأ ولم يكف

كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتبدى منه فى شنف

بضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويعنى من الازهار فى صدف

والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فترا آهم على شرف

الى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد أداء الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الا نهله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج لونه بشفق الكواكب خليط امسك وصندل وكان ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كانها * عقود على خود من الزنج تنظم

محلقة فى الجو تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوّم

اذا لاح بازى الصبح ولت نوّمها * الى الغرب خوفا منه نسر ومرزم

الى حدائق ملتفة وجداول محففة اذا خمش النسيم غصونها اعتنقت كالاحباب واذا ركب من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان لثم ثغور نورها حيته بانفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بالحان المشوق فنسيمها ادان وشميمها لعرف الجنان عنوان وورودها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد منبث وفى طرر الريحان حيات وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب انها همزة على ألف مع ما فى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما خر الماء شمخ القضيب

فكانما تلك الغصون اذا انثنت * أعطافها رسل الصبا أحباب

فلها اذا اقترنت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب

وكانها حول العيون موائسا * شرب وها تيك المياه شراب

فغديرها كاس وعذب مياهها * راح وأضواء النجوم حباب

تحيط بها مياه نطافها صاف وظلال دوحها ضاف وحصاها لصفاء مائها فى نفس الامر راكد

الارتحال على الاقامة فى الرحال واخذا بقولهم

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

فبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتشير من الافق الغربى الى جانب رمسها وتغازل عيون النور بمقلة ارمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العوّد فكانها كئيب اضحى من الفراق على فرق او عليل يقضى بين صحبه بقايا عمر بالرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حليته المموّهة بذهب شعاعها

والطل فى اعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقأ ولم يكف

كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتبدى منه فى شنف

يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويعنى من الازهار فى صدف

والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن احبابه وهفا * به الهوى فترا آهم على شرف

الى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد اداء الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا ان ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر وادعه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كان امتزاج لونه بشفق الكواكب خليط مسك وصندل وكان ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كانها * عقود على خود من الزنج تنظم

محلقة فى الجو تحسب انها * طيور على نهر المجرة حوّم

اذا لاح بازى الصبح ولت نؤمها * الى الغرب خوفا منه نسر ومرزم

الى حدائق ملتفة وجداول مختفة اذا خمش النسيم غصونها اعتنقت كالاحباب واذا ركب من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان لثم ثغور نورها حيته بانفاس المعشوق وان ايقظ نواعس ورقها غنته بالحان المشوق فنسيمها ادان ونعيمها لعرف الجنان عنوان وورودها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد منبث وفى طرر الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب انها هزة على الف مع مافى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما خر الماء شمخ القضيب

فكانما تلك الغصون اذا انثنت * اعطافها رسل الصبا احباب

فلها اذا افترقت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب

وكانها حول العيون موائسا * شرب وهاتيك المياه شراب

فغديرها كاس وعذب مياهها * راح واضواء النجوم حباب

تحيط بها مراء نطاقها صاف وظلال دوحها ضاف وحصاها الصفاء مائها فى نفس الامر اكد

أو دعة قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسجم

واتخذ كل له مركزا وتناضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يصبح اراده محرزا

كأنهم في عين أنعامهم * في نظر المنصف والجاحد

قد ولدوا في طالع واحد * وأشرقوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابة أظلتنا من أجنحتها سحابة من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا فوجد ولكن مصرعا وأسف يبتغي ماء جاما فورده آكن السم منقعا وحلق في الفضاء يبتغي ملعبا فبات هو وأشياعه حتيد القسي وركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا أوائل القبيل فاستقبل أولنا (تما) تم بدره وعظم في نوعه قدره كأنه برق لمع في غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه في أسداف الدجى غرة نجح وتخاله تحت أذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قار له عنق ظليم والتفاتة ريم ومسرى غيم يصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشباب * ووقت الوصال ويوم الظفر

كأن الدجى غار من لونه * فأمسك منقاره ثم فر

فأرسل اليه عن الهلال نجمها فسقط منهما كبر عياه غرجها فاستبشر بنجاحه وكبر عند صياحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه (كي) نقي اللباس مشتعل شيب الراس كأنه في عرانين سيبه لاوبله كبير اناس ان أسف في طيرانه فغمام وان خفق بجناحه فقلع له يد النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنقار كالحراب ولون يضيء في الدجى كالنجم ويخدع في الضحى كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن ارم

ان عام في زرق الغدير حسبته * مبيض غيم في أديم سماء

أو طار في أفق السماء ظننته * في الجو شخصا عائما في ماء

متناقض الاوصاف فيه خفة الجهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه فخر كأنما انقض عليه نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحة الماء من وجه الغدير وقارنته (أوزة) حلتها دكناء وحليتها حسناء لها في الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات السرج وخفر ربات الحجال كأنما عبثت في ذهب أو خاضت في لهب تختال في مشيتها كالكاعب وتتأنى في خطوها كاللاعب وتصعر خدها كالظبي الغرير وتتدافع في سيرها مشي القطاة الى الغدير

اذا أقبلت تمشي فخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم

وان أعلقت قالت لها الريح ليت لي * خفة ذي الحراق أو قوى ذي القوادم

فانعم بها في البعد زاد مسافر * وأحسن بها في القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها انحت في ترفعها معنة ثم نزلت على حكمه

مدعنة فاشغلها عن استكمال الهبوط واستولى عليها بعد استقرار الهبوط وجارتها (لقلقة) تحكي لون وشيها وتصف حسن مشيها وترفع عليها بغرتها وتنافسها في المحاسن كغرتها كأنها مدامة قطبت بمائها أو نجم انشقت عن بعض نجوم سمائها

بغـرة بيضاء ميـمونة * تشرق في الليل كبدر التمام
وان تبدت في الضحى خلتها * في الحلة السوداء برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورماها عن قلة سعده بنجم وبالها غدت في العلو مفردة وتطاردت أمام بنده ولولا اطراد الصيد لم تلت نده وانقض عليها بين يديه شهاب حتفها وأدركها الاجل لخفقة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق في كفه ونفرت بقاياصفها عن صفه وأتت في أثرها (أنيسة) آنسة كأنها العذراء العانسة والادماء الكانسة عليها خفر الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعاني التي تجلى على الافكار ولها أنس الربيب وادلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن الوريق قد جمع صفرة النهار الى حمرة الشقيق وصدر بهي الملبوس شهي الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل أو نقش فيه العاج بالآبنوس وجناح يحميها من العطب يحكي لونه المندل الرطب لولا أنه حطب

مليحة الصدر تفويفه * أضاف الى الليل ضوء النهار
لها عنق خاله من رآه * شقائق قد وشحت بالبهار

فوثب الخامس منها الى الغنيمة ونظم في سلك رميه تلك الدرة الثمينة وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمة وأتى على صوتها (حدج) يسبق همته جناحه ويغلب خفق فؤاده صياحه مدبج المطا كأنما خلع حلة منكبيه عن القطا ينظر من لهب ويخطر على رجلين من ذهب

يزور الرياض ويجفو الحياض * ويشبه في اللون كدر القطا
ويهوى الزروع ولا ينتقي * ولا يرد الماء الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قوسه بامتداد باعه فخر على الالاءة كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فحصله بحذق وحمله بكيس وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه فقصد هو وربه الى جبل وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتهما قبل فمن له (نسر) ذو قوادم شداد ومناسر حداد كأنه من نسور لقمان بن عاد تحسبه في اسماء ثالث أخويه وتظنه في الفضاء قبته المنسوبة اليه قد خلق كالفقراء راسه وجعل مما قصر من الدلوق المدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلي ازارا واختار العزلة فلا تجده الا في قنن الجبال الشواهق قرارا قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشيب

ما بنت طيور الارض شرقا ومغربا * وفي الافق الاعلى له اخوان
له حال قتال وحلية ناسك * واسراع مقدام وفترة وان

قد نامن مطاره ونوخى بندقة عنقه فوقع فى منقاره فكانما هشمت منه صخرا أو هدمت منه بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه فبشر الجميع بامتيازه عن فريقه واذا به قد أطلت عليه عقاب كاسر كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان طارت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقلعت لحقت فى علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها ورماها باول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع البازى عن عقابه ويستنزل الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع فى أوج جوها من الحضيض ونزلا الى الرفقة جذلين بربح الصفقة فوجد التاسع قد مر به (كركى) طويل المنقار سريع النفار شديد العراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه فى الجو حفيف ولاديه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له أثر حمرة فى رأسه كوميض جمر تحت رماد وبقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما ينوس على عودين من آبنوس

اذا بدا فى أفق مقبلا * والجو كالماء تقاذفه

حسبته فى لجة مركبا * رجلاه فى الافق مجاذفه

فصبر له حتى حاذاه مجليا وعطف عليه مصليا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه طالما أفلت للكركى من أظفار المنون وأصابه القدر بحمة من حمإ مسنون فكثر التكبير من أجله وحمل راميه من وجه الارض برجله وحاذاه (غرنوق) حكاه فى زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى خلفه معقودتان من أذنيه مكان شنفه

له من الكركى أوصافه * سوى سواد الصدر والراس

ان شال رجلا وانبرى قائما * ألفيته هيئة برجاس

فاصمى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كأنه صريع الالحان أو نزيف بنت الحان فاهوى الى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده ونبه فى المطار (صوغ) كأنه من النضار مصوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقة قد بث لمحته

طويلة رجلاه مسودة * كأنما منقاره خنجر

مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفى فيها مجمر

فاستقبله الحادى عشر ووثب ورماه حين حاذاه من كثب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق أصيبت حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به (مرزم) له فى

السماني معروف ذو منقار كصدغ معطوف كأن رياشه فلق اتصل به شفق أو ساق علق بأطرافه علق

له جسم من الثلج * على رجلين من نار
اذا أقلع ليلا قلت برق في الدجى سار

فانتضاه الثاني عشر سهما ورماه سهما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والحقه به (سبيطر) كأنه مدية بيطر يحط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى في منقاره الأيم تلوي التنين في الغيم

تراه في الجو ممتدا وفي فمه * من الأفاعي شجاع أرقم ذكر
كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه قطع جيده وعنقه فوقع كالصرح الممرد أو الصراط الممدد واتبعه (عناز) أصبح في اللون ضده وفي الشكل نده كأنه ليل ضم الصبح الى صدره أو انطوى على هالة بدره

تراه في الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض حيزوم
كأسود حبشي أم في نهر * وضم في صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى التمة وأسفرت عن نجح الجماعة تلك الليلة المدلهمة وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكل يعتد به قبل أن تطلع الشمس عينا أو تبرز حاجبا فيالها ليلة حصرنا بها الصوادح في الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما صارت به من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد خانها النظام أو سرب كان رقابهم من اللين تخلق لهن عظام وأصبحنا منفضين على مقامنا منثنين بالظفر الى مستقرنا ومقامنا داعين للمولى جهدنا مدعين له قبلنا أوردنا حاملين ما صرعنا الى بين يديه عاملين على التشرف بخدمته والانتماء اليه

فأنت الذي لم يلف من لا يوده * ويدعوه في السر أو يدعى له
فان كان رمى أنت توضح طرقه * وان كان جيش أنت تحمي رعيله

والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل * انما أثبت هذه الرسالة بكمالها لكثرة ما اشتملت عليه من الاوصاف ولتعلق بعضها ببعض (فاما التقاليد والتواقيع والمناشير وما يتعلق بذلك) فالاحسن فيها بسط الكلام وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ويجب أن يراعى فيها أمور منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال وقدر النعمة أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الاحوال ولا بعيدا منها ولا مباينا لها ثم يسترسل بحسب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة الى آخرها ويحسن أن يكون الكلام منقسما في التقليد على أربعة أقسام متقاربة المقادير فالربع الاول الخطبة والثاني ذكر موقع الانعام في حق المقلد وذكر الرتبة

وتقضي أعمارهم ... والثالث في أوصاف المقلدون كرما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من
عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت وسمعة وشجاعة ان كان نائبا ووصف العدل والرأي وحسن
التدبير والمعرفة بوجوه الاموال وعمارة البلاد وصلاح الاحوال وما يناسب ذلك ان كان وزيرا
وكذلك في كل رتبة بحسبها والرابع في الوصايا وهذه هي القاعدة في مثل ذلك ومنها أن تراعي
المناسبة وما تقتضيه الحال فلا يعطى أحدا فوق حقه ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله وتراعي
أيضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنعم بها على مقدار ذلك ومنها أن لا يصف المتولي بما
يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقيص له فان ذلك مما يوغر الصدور ويورث الضغائن في القلوب
ويدل على ضعف الآراء في اختيار الاول وله أن يصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير
تعريض بالاول ومنها أن يحضر الكلام والمعاني فانه مما يتسع ويضيق ولا يقتصر المقصر في ذلك
دعة ولا ضيق وقت وان يطال الكلام عليه مقسم والبلاغة تظهر في القليل والكثير والامر
الجاري في ذلك على العادة معروف وفي أيدي الناس مما كتبت فيه شيء كثير لكن تقع أشياء
خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب الى التصرف فيها على ما تقتضيه الحال (فمن ذلك تقليد
كتبته لملك سيس باقراره على ما قاطع النهر من بلاده وهو) الحمد لله الذي خص أيامنا
الزاهرة باصطناع ملوك الملل وفضل دولتنا القاهرة باجابة من سأل بعض ما أحرزته لها
البيض والاسل وجعل من خصائص ملكنا اطلاق الممالك واعطاء الدول والمن بالنفوس
التي ... النصر لنا من سلب الدول وأغرى عواطفنا بحقن دماء من مد الى عواطفنا كف
الامل وأبان عن مواهب نعمنا لنا على من أناب الى الطاعة حلل الامن بعد الوجل وانتزع
بالالتجاء ... ولا ... وحرر رعاياه من قبضة الاجل وجعل برد العفو عنهم بالطاعة
تبرد ما أذاقتهم العصيان من حرارة الغضب اذ ربما صحت الاجسام بالعلل نحمده على
نعمه التي جعلت عفونا عمن رجاه قريبا وكرمنا لمن دعاه باخلاص الطاعة مجيبا وبرنا الى
أقبل اليه منيبا بوجه الامل مثيبا وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل الله له في التمسك بمراحمنا
نصيبا ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم دم من عمل بمقتضاها ونحسم
مواد من عاندها بانتقام حسامها وتفصم عرى الاعناق عن أجسامه الغرور في انفصال
أحكامها وانفصامها ونقصم من قصد اطفاء ما أظهره الله من نورها وانقطاع ما قضاه
من دوامها ونجعل كلمته التي هي العليا فلا تزال أعناق جاحديها في قبضة أوليائها وتحت
أقدامها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كل أمة المنعوت
في الكتب المنزلة بالرأفة والرحمة المخصوص مع عموم المعجزات بخمس منهن الرعب الذي كان
يتقدمه الى من قصده ويسبقه مسيرة شهر الى من أمه المنصوص في الصحف المحكمة على
جهاد أمته الذي لا حياة لمن لم يتمسك منهم بذمته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
نصروا بدعوته الممالك وأوضحوا بشرعته الى الله المسالك وجلوا بسنته عن وجه الزمن
كل حالك حالك وأوردوا من كفر بهم ورسله موارد المهالك ووثقوا بما وعد الله نبيه صلى
الله عليه وسلم حين زوى له مشارق الارض ومغاربها من أن ملك أمته سيبلغ الى ما زوى الله له

من ذلك صلاة لا تزال لها الارض مسجدا ولا يبرح ذكرها معبرا الى الآفاق ومغيرا ما استقضت
ألسنة الاسنة النصر باقامتها وأبادت أعداءها باستدامتها وسلم تسليما كثيرا (وبعد)
فانه لما آتانا الله ملك البسيطة وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الاقطار محيطة ومكن لنا في
الارض وأنهضنا من الجهاد في سبيله باسنى الفرض وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا
من أمثلة يوم العرض وأطلعنا بوادر الفتوح وأطلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من
كفر بالله وكفر بالنعمة دعوة نوح وأيدنا بالملائكة والروح على من جعل الواحد سبحانه
ثلاثة فانتصر بالاب والابن والروح وألقت الينا ملوك الاقطار السلم وبذلت كرائم
بلادها وتلادها رغبة في الالتجاء من عفونا الى ظل أعلى من علم وتوسل من كان منهم بظاهر
الفاظه بالذلة والخضوع وتوصل من كان منهم بيدي القوة بالاخلاص الذي رأوه لهم أقوى
الجنن وأوقى الدروع عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ولا نصد عن مشارع كرمنا
آملا ولا نخيب من احساننا راجيا ولا نخلي عن ظل برنا لاجيا علما ان ذلك شكر للقدرة التي
جعلها الله لنا على ذلك الأمل ووثوقا بانه حيث كان في قبضتنا متى ما نشاء نجمع عليه الانامل
اللهم الا أن يكون ذلك اللاجي للفسل مسرا وعلى عداوة الاسلام مصرا فيكون هو
الجاني على نفسه والباقي على موضع رمسه والمفرط في مصلحة يومه وغده وبتذكر عداوة
أمسه ولما كان من تقدم بالمملكة القلانية قد زين له الشيطان أعماله وعقد حبال
الغرور آماله وحسن له التمسك بالتتار الذين هم بجهادنا محصورون في ديارهم
مأسورون في حبائل ادبارهم عاجزون عن حفظ ما لديهم قاصرون عن ضبط ما استلبته
سرايانا المنصورة من يديهم ليس منهم الا من له عند سيوفنا ثار ولها في عنقه آثار ومن
يعلم أنه لا بد له عندنا من خطتي خسف اما القتل أو الاسار وحين تمادى المذكور في
غيه وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه أمرنا جيوشنا فجاست خلال تلك الممالك
وداست حوافر خيلها ما هنالك وساوت في عموم القتل والاسر بين العبد والحر والمملوك
والمالك وألحقت رواسي جبالهم بالصعيد وجعلت حماتهم كزروع فلاتهم منها قائم
وحصيد فأسلمهم الشيطان وصم وتركهم وفر وماكرهم وماكر وأعلمهم أن موعدهم
الساعة والساعة أدهى وأمر وأخلفهم ما ضمن لهم من العون وقال لهم اني بريء منكم
اني أرى ما لا ترون وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلا
وتأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الالتجاء دليلا فابصر بالخدمة موضع رشده
وأدرك بسعيه نافر سعده وأراه الاقبال كيف تثبت قدمه في الملك الذي زلت عنه قدم من
سلف وأظهر له الاشفاق على رعاياه مصارع من أورده سوء تدبيره أخبث موارد التلف
وعرفه التمسك باحساننا كيف احتوت يده على ما لم يبق العصيان في يد أخيه منه الا الاسى
والاسف وحسنت له الثقة بكرمنا كيف تحمل الطالب وأعلمته الطاعة كيف تستنزل
عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وانما الدنيا لمن غلب وانتمى الينا فصار من
خدم أيامنا وصنائع نعمائنا وقطع علائقه من غيرنا فلجأ منا الى ركن شديد وظل

من ذلك صلاة لا تزال لها الارض مسجدا ولا يبرح ذكرها معبرا فى الآفاق ومجددا ما استفضت ألسنة الاسنة النصر باقامتها وأبادت أعداءها باستدامتها وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فانه لما آتانا الله ملك البسيطة وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الاقطار محيطة ومكن لنا فى الارض وأنهضنا من الجهاد فى سبيله بالسنة والفرض وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض وأطلعنا بوادر الفتوح وأظلت على الاعداء سيوفنا التى هى على من كفر بالله وكفر بالنعمة دعوة نوح وأيدنا بالملائكة والروح على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فانتصر بالاب والابن والروح وألقت الينا ملوك الاقطار السلم وبذلت كرائم بلادها وتلادها رغبة فى الالتجاء من عفونا الى ظل أعلى من علم وتوسل من كان منهم بظاهر الفاظنا بالذلة والخضوع وتوصل من كان منهم بيدى القوة بالاخلاص الذى رأوه لهم أقوى الجنن وأوقى الدروع عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ولا نصد عن مشارع كرمنا آهلا ولا نخيب من احساننا راجيا ولا نخلى من ظل برنا لاجيا علما ان ذلك شكر للقدرة التى جعلها الله لنا على ذلك الأمل ووثوقا بانه حيث كان فى قبضتنا متى ما نشاء نجمع عليه الانامل اللهم الا أن يكون ذلك اللاجى للفسل مسرا وعلى عداوة الاسلام مصرا فيكون هو الجانى على نفسه والباقى على موضع رمسه والمفرط فى مصلحة يومه وغده ونذكر عداوة أمسه ولما كان من تقدم بالمملكة القلانية قد زين له الشيطان أعماله وعقد بحبال الغرور آماله وحسن له التمسك بالتتار الذين هم بهيبتنا محصورون فى ديارهم مأسورون فى حبائل ادبارهم عاجزون عن حفظ ما لديهم قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايانا المنصورة من يديهم ليس منهم الا من له عند سيوفنا ثار ولها فى عنقه آثار ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطتى خسف اما القتل أو الاسار وحين تمادى المذكور فى غيه وجد به الغرور على ركوب جواد بغيه أمرنا جيوشنا فجاست خلال تلك الممالك وداست حوافر خيلها ما هنالك وساوت فى عموم القتل والاسر بين العبد والحر والمملوك والمالك وألحقت رواسى جبالهم بالصعيد وجعلت حماتهم كزروع فلا تهم منها قائم وحصيد فاسلمهم الشيطان وحص وتركهم وفر وما كرهم وما كر وأعلمهم أن موعدهم الساعة والساعة أدهى وأمر وأخلفهم ما ضمن لهم من العون وقال لهم انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلا وتأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلا فابصر بالخدمة موضع رشده وأدرك بسعيه نافر سعده وأراه الاقبال كيف تثبت قدمه فى الملك الذى زلت عنه قدم من سلف وأظهر له الاشفاق على رعاياه مصارع من أورده سوء تدبيره أخبث موارد التلف وعرفه التمسك باحساننا كيف احتوت يده على ما لم يبق العصيان فى يد أخيه منه الا الاسى لاسف وحسنت له الثقة بكرمنا كيف تحمل الطلب وأعلمه الطاعة كيف تستنزل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وانما الدنيا لمن غلب وانتمى الينا فصار من خدم أيامنا وصنائع نعمائنا وقطع علائقه من غيرنا فلجأ منا الى ركن شديد وظل

مديد ونصر عتيد وحزم يؤوى آمله اليه وكرم تقر نضارته ناظريه واحسان عمهما
أقره عطاؤنا فى يديه وامتنان يضع عنه اصره والاغلال التى كانت عليه اقتضى احساننا
أن يقضى له عن بعض ما حلت جيوشنا ذراه وحلت سطوات عساكرنا عراه وأضعفت
عزمات سرايانا قواه ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره سيفنا عنهم من عورات بلادهم
وطواه وأن نخوله بعض ما وردت خيولنا مناهله ووطئت جيادنا غاربه وكاهله وسلكت
كتائبنا المالكة داره وآهله وأن يبقى على ملكه هذا البيت الذى مضى سلفه فى الطاعة عليه
ويستمر ملك الارض الذى أهمل السعى فى مصالحه بيديه ليتيمن رعاياه به ويعلموا أنهم
أمنوا على أرواحهم وأموالهم بسببه ويتحققوا أن أثقالهم بحسن توصله الى طاعتنا قد
خفت وان بوادر الامن بلطف توسله الى مراضينا قد أطافت بهم وحفت وان سيوفنا
التى كانت مجردة على مقاتلهم بجميل استعطافه قد كفتهم بأسها وكفت وان سطواتنا
الحاكمة على أرواحهم قد عفت عنهم بالاطلاق وعفت فرسم أن يقلد كيت وكيت من
المملكة الفلانية ويستقر بيده استقرارا لا ينازع فى استحقاقه ولا يعارض فيما سبق من
اعطائه واطلاقه ولا يطالب عنه بقطيعة ولا يطلب منه بسببه غير طوية مخلصة ونفس
مطيعة ولا يخشى عليه يد جائرة ولا سرية فى طلب الغرة سائرة ولا يطرق كناسه أسد
جيوش مفترسة ولا سباع نهاب مختلسة بل تستمر البلاد المذكورة فى ذمام رعايتنا
وحماية صيانتنا وكنف احساننا ووديعة برنا وامتناننا لا تطمح اليها عين معاند ولا يمتد
اليها الا ساعد مساعد وعضد معاضد فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذى هداه الى
الطاعة وصان باخلاص الطوية ولايته نفسه ونفائس بلاده من الاضاعة وليقرن ذلك
باصفاء موارد المودة واضفاء ملابس الطاعة التى لا تزداد بحسن الوفاء الا جده واستمرار
المناصحة فى السر والعلن واجتناب الخداعة ما ظهر منها وما بطن وأداء الامانة فيما
استقر معه الحلف عليه ومباينة ما يخشى أن تتوجه بسببه وجه عتب اليه واستدامة هذه
النعمة بحفظ أسبابها واستقامة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها
واخلاص النية التى لا تعتبر ظواهر الاحوال الصالحة الا بها * (ومن تقليد كتبته لسلامش
بمملكة الروم حين ورد كتابه فى شوال من ذلك قبل حضوره) * أوله الحمد لله الذى أيدنا بنصره
وأمدنا من جنود الظفر بما لم يؤت ملك فى عصره وجعل هيبتنا قائمة فى جهاد عدو الدين ان
قرب مقام كسره وان بعد مقام حصره ونشر دعوة ملكنا فى الاقطار كلها اذا اقتصرت
دعوة غيرنا من ملوك الامصار على مصره وأنجد من نادانا بلسان الاخلاص من جنوده
وجنودنا بالجيش الذى لم تزل أرواح العدا باسرها فى أسره وعضد من تمسك بطاعة الله
وطاعتنا من اجابة عساكرنا بما هو أقرب الى مقاتل عدوه من بيض المرهفة وسمره وأعاد
بنا من حقوق الدين كل ضالة تملك ظن العدو ان أمره غالب عليها والله غالب على أمره
بجنودنا الى نصرة من دعاها بالايمان أقرب من رجع نفسه اليه وأسرع من رد الصدى
جوابه عليه وأسبق الى عدو الدين من مواقع عتابه وأقدر على التصرف فى أرواح أهل

وأعلامها منصورة في انتزاحها ودنوها وتتابعت يتلو بعضها بعضا تتابع الغمام المتراكم والموج المتلاطم تقدم عليه بالنصر القريب من الامد البعيد وتعلم بوادرها ان طلائعها عنده وساقتها بالصعيد ولما كان فلان هو الذى أراد الله به من الخير ما أراد ووطد له بعنايته أركان الرشاد وشاد وجعل له بعد الجهل به علما وتداركه برحمته فما أمسى للاسلام عدوا حتى أصبح هو ومن معه له سلما قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم ويشرحوا وبارشاده الجلى وهدايته فليدعوا قومهم الى ذلك وينصحوا وحين وضحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة الى الطاعة ودلته على موالاة ملك الاسلام التى من لم يتمسك بها فقد فارق الجماعة فان الله تعالى قرن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعة أولى الامر وحث على ملازمة الجماعة فى وقت يكون المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر وهذا فعل من أراد الله به خيرا وسعى من يحسن فى دين الله سيرة وسيرا ولذلك اقتضت آراؤنا الشريفة امضاء عزمه على الجهاد بالاتحاد وانفاذ سهمه فى أهل العناد بالاسعاف والاسعاد وأرسلنا الجيوش الاسلامية كما تقدم شرحه يطوون الفدافد ويستقربون المدى النازح ويأخذون كل كمى فلو استطاع السماك لم يتسم بالرامح ويحتسبون المشقة فى طلب عدو الاسلام علما انهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح فرسم بالامر الشريف لازال يهب الدول ويقلد أجياد العظماء ما تود لو تحلت ببعض فرائده تيجان الملوك الاول أن يفوض اليه نيابة الممالك الفلانية تفويضا يصونون به قلاعها ويصول بها بنيه على من حاول انتزاعها من يده واقتلاعها ويجريها على ما ألفت مما لكنا من أمن لا يروع سربه ولا يكدر شربه ولا يوجد فيه باغ يخاف السبيل بسببه ولا من يجرد سيف بغى وان جرده قتل به وليحفظ من الاطراف ما استودعه الله وهذا التقليد الشريف حفظه وليعمل فى قتال مجاوريه من العدى بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (ومنه) وليعلم أن جيوشنا فى المسير اليه متى قصد عدوا سابقت خيولنا أخبارها وجارت جيادها ظلالها وأبت سنابكها أن تحمل غير جماجم الاعداء نعالها وها هى قد تقدمت وأقدمت ونهضت لانجاده فلو سامها أن تخوض البحار فى سبيل الله لخاضت أو تصدم الجبال لصدمت (ومنه) والشرع الشريف فهو المقدم وأمره السابق على كل ما تقدم فليعل مناره ويستشف فى أموره أنواره وينفذ أحكامه ويعاضد حكامه ومن عدل عن حكمه معاندا أو ترك شيأ من أحكامه جاحدا فقد برئت الذمة من دمه حتى يفىء الى أمر الله ويرجع عن عناده وينيب الى الله فان الله يهدى اليه من أناب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (ومن ذلك من تقليد فى الفتوة) نحمده على ما منحنا من نعم شتى ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما أشرف من أفتى فى الكرم وفتى وآتانا ملك خلال الشرف الذى لا ينبغى لغيرنا ما اختصصنا به من الكمال ولا يتأتى وخصصنا به من رفع الطاعة الى سماء النعم يتبوؤن من جنان الكرم حيث شاؤا وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ونشهد أن لا اله الا الله وحده

تقليد فى الفتوة

لا شريك له شهادة من انتمى فى فخار أبوة التقى الى حسب على وانتمى فى بنوة المروءة الى سبب قوى ونسب زكى وارتدى حلل الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصى عن أشرف نبى ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نور شريعته جلى وجاه شفاعته ملى وبسيفه وبه حاز النصر والشرف من انتمى اليه فلا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على (وبعد) فان أولى من لبى احساننا نداء وده وربى امتناننا نتائج ولائه الموروثة عن ابيه وجده ورقاه كرمنا الى رتبة عليا يقف جواد الامل عن بلوغها عند حده وتلقت كرامتنا وفد قصده بالترحيب وأنزلت جار رجائه من مصر نصرها بالحرم الامن والربيع الخصيب وأدنت لامله ما نأى من الاغراض حتى بلغه بفضله سهم اجتهاده المصيب وأعدت له من حلل الجلالة ما هو أبهى من رداء السماء التى يزداد على الابد جدة برده القشيب وخصه لابتناء المجد باجل بنوة جعلت له فى ارث خلال الشرف أوفى حظ وأجزل نصيب من سمت منابر المجد بذكره واتسعت أسرة الحمد بشكر أوصافه ووصف شكره واختالت مواكب الثناء بحسن خلاله واجتازت كواكب السنا اقبال طوالعه وطوالع اقباله وتمسك من طاعتنا بامتن أسباب الهدى واعتصم بعروة موالاتنا وطأ التوثق بها رقاب العدى واتصف بمحاسن الشيم فى مودتنا فاضحى فتى السن كهل الحلم بحر الندى وانتمى الينا فاصبح له بنا ملك ما مقربا وأوجب من حقوق الطاعة علينا ما أمسى به عندنا مع جلالة الابناء ابنا وغدونا له مع شرف الآباء فى نسب الفخر العريق أبا ونشأ فى مهاد الملك فمهابه العلم والعلم والسيف والقلم والبأس والكرم واعتزى الى أبوة حنونا ببنوة رجائه فتشبه بعدل آبائنا ومن أشبه أباه فما ظلم وتحلى بصدق الولاء وهو اول ما يطلب فى سر هذا النسب ويعتبر وتنحلى لنكاية عدو الاسلام بلطف مكائده اذا السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر ولما كان فلان الذى نظم عقود الانتماء عقود مجده وزاد فى طاعتنا على ما ورث من مكارم أبيه وجده وساد الملوك فى اقبال شبابه وصان ملك أبيه عن عوارض أوصابه باتباع ما أوصى به وانفت صوارمه ان تكون لغير جهاد أعداء الله معدة وعزائمه أن تتخذ عدو الله وعدوه أولياء يلقى اليهم بالمودة وسهامه أن تسدد الا الى مقاتل العدى واسنته أن يبل اوامها من غير منا هل صدور الكفر صدى مع اجتماع هلال الشرف بشرف خلاله واشراق أسباب السرار عن هالة كماله وسؤاله ما ليس لغيره أن عد اليه يدا والتماسه من كرمنا العميم أجل ما تخل والد ولدا وانه وقف على قدم الرجاء الثابت ومت بقدم غروس الولاء التى أصلها فى روض المودة ثابت وقال أسأل الله وأسأل سلطان الارض القائم من جهاد أعداء الله بالسنة والفرض فاتح الامصار الذى لم تزل سيوفه تتهاجر عن غمودها فى سبيل الله الى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار الذى شرف الله شرف الفتوة بانتمائها اليه وأعلى قدر بنوة المروءة باتصال نسابه عن الخلفاء الراشدين عن أب فأب عن أمير المؤمنين عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأورثه من خلقه الكرم والباس فتحلى بما منه باجل مواف وأكمل موافق ومنحه بحفظ العهد الذى من خصائصه ما عهد به اليه النبى الامى من انه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق

أعز الله سلطانه وأوطأ جياده معاقل الكفر وأوطانه أن يتقبل قصدي بقبول حسن
ويقبل بوجه كرمه على أملي الذي لم يتعد به عن فروض الطاعات وسننها أوسن وينظمني في
سلك عقود الفتوة ملتزما لأسبابها متمسكا بطاعته التي هي أكمل أسبابها متممًا أنواع الآداب التي
لا يثبت لها حكم الإباء آتيا بشروط خدمته التي من لم يأت بها على ما يجب فما أتى البيوت
من أبوابها فاستخرنا الله تعالى في عقد لواء هذا الفخار لجده فخار ونظمناه لعقد هذا
المقام الكريم واسطة لئلا كان رتبتها الادخار ولذلك رسم بالأمر الشريف لا زال الجود
يعلي الجدود أن يصل نسبه بهذا النسب الكريم ويعقد حسبه في الفتوة بأواخي هذا
الحسب الصميم ويعرف نسبه بأصالة هذه الأبوة التي هي الأعز منه مقيم ويفاض عليه
شعار هذا الخلق المتصل عن أكرم ورعي بمن قال الله في حقه وإنك لعلى خلق عظيم فليحل
هذه الهضبة التي أخذت من أفق العز بالمعاقد ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من أنواع
الفراقد أفراقد ويجر رداء الفخر على أهداب الكواكب ويزاحم بمواكب مجده
النجوم على ورودهم والمجرة بالمناكب وليعلم شرف هذه النسبة من جهة من رآه أهلا
لذلك وليقف في الفتوة عند عالم من ملهمها الذي انتهى فيه منا إلى مالك وليطل على ملوك
الأقطار بهذه الرتبة التي تتهافت الرجال على حبها ويصل على صروف الأقدار بهذه الغاية التي
جعلته وهي حزب الله من حزبها وليصن سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله وانتزاعه
عمن لم يره أهلا لحمله وفيما أوردته من هذه الأنواع كفاية في ذلك وما ناسبه (فأما الكتب
الإخوانية) والكتب التي تعمل رياضة للخاطر فيما يقل وقوعه لاحتمال أن يقع أو فيما
تمتحن به قوة القريحة ويختبر به تصرف الفطنة ويسبر به غور الذهن ويعلم به استعداد
الفكر فإن الكاتب في ذلك الأمر مطلق العنان مخلى بينه وبين قوته فيه أو ضعفه لكن على
كل حال يراعي كل مقام بحسبه فما عملته رياضة للخاطر لا صحة و به مسألة صورة كتاب إلى
انسان يتضمن مخاطبته في تزويج أمه (وهو هذه المكاتبة) إلى فلان جعله الله يؤثر دينه على
الهوى ويحوي بأفعاله الوقوف مع أحكام الله وإنما لكل امرئ ما نوى ويعلم أن الخير والخيرة
فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما هوي ثم عرض له بأمر
لا حرج عليه في الإجابة إليه ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حض
الشرع المطهر عليه وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عذرها وولي من
حقوق أخص من بره كل ما علم أن فيه برها وإذا كانت المرأة عورة فإن كمال صونها فيما جعل الله
فيه سترها وصلاح حالها فيما أصلح به في الحياة أمرها وإذا كان النساء شقائق الرجال
في باطن أمر البشرية وظاهره وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أول وقت
الاحتياج إلى ذلك وآخره وما جدع الحلال أنف الغيرة الا ليزول شمم الحمية وتنزل على
حكم الله فيما شرع لعباده النفوس الأبية ويعلم أن الفضل في الانقياد لأمر الله لا في اتباع
الهوى بعضل الولية وإذا كان بر الوالدة أتم وحقها أعم والنظر في صلاح حالها أهم تعينت
الإجابة إلى ما يصلح به حالها ويسكن إليه بالها ويتوفر به آمالها ويعمر به فناؤها

مكاتبة فيمن يكون لأمه على من يزوج أمه

أعز الله سلطانه وأوطأ جياده معاقل الكفر وأوطانه أن يتلقى قصدى بقبول حسن ويقبل بوجه كرمه على امل الذى لم يقعد به عن فروض الطاعات وسننها أو سن وينظمنى فى سلك عقود الفتوة ملتزما بالسبابها متمسكا بطاعته التى هى اكمل اسبابها متممة لعقود الآداب التى لا يثبت لها حكم الا بها آتيا بشروط خدمته التى من لم يأت بها على ما تجب فما أتى البيوت من أبوابها فاستخرنا الله تعالى فى عقد لواء هذا الفخار لجده فخار ونظمناه لعقد هذا المقام الكريم واسطة لئلا كان رتبتها الادخار ولذلك رسم بالامر الشريف لا زال الجوده يعلى الجدود ان يصل نسبه بهذا النسب الكريم ويعقد حسبه فى الفتوة بأواخى هذا الحسب الصميم ويعرف نسبه باصالة هذه الابوة التى هى الاعز منشأ ومقيم ويفاض عليه شعار هذا الخلق المتصل عن اكرم ومن عن قال الله فى حقه وانك لعلى خلق عظيم فليحل هذه الرتبة التى أخذت من أفق العز بالمعاقد ويحل هذه الرتبة التى دون بلوغها من انواع الفراقد أفراقد ويجرر رداء الفخر على أهداب الكواكب ويزاحم بعوا كب مجده النجوم على ورودهم الجسرة بالمناكب وليعلى شرف هذه النسبة من جهة من رآه أهلا لذلك وليقت فى الفتوة بعالم من ملاحها الذى انتهى فيه منا الى مالك وليطل على ملوك الاقطار بهذه الرتبة التى تتقاصر الرجال على حبها ويصل على صروف الاقدار بهذه الغاية التى جعلته وهى حزب الله من حزبها وليصن سر هذا الفضل العميم باداعه الى أهله وانتزاعه عن غيره من أهل لاحمله وفيما أوردته من هذه الانواع كفاية فى ذلك وما ناسبه (فأما الكتب الاخوانية) والكتب التى تعمل رياضة للخاطر فيما يقل وقوعه لاحتمال أن يقع أو فيما تمتحن به قوة القريحة ويختبر به تصرف الفطنة ويسبر به غور الذهن ويعلم به استعداد الفكر فان الكاتب فى ذلك الامر مطلق العنان يحمل بينه وبين قوته فيه أو ضعفه لكن على كل حال يراعى كل مقام بحسبه فما عملته رياضة للخاطر اصعو بة مسلكه صورة كتاب الى انسان يتضمن مخاطبته فى تزويج أمه (وهو هذه المكاتبة) الى فلان جعله الله ممن يؤثر دينه على الهوى وينوى بأفعاله الوقوف مع أحكام الله وانما لكل امرئ ما نوى ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما هوى ثم عرض له بأمر لا حرج عليه فى الاجابة اليه ولا خلل يلحقه به فى المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حض الشرع المطهر عليه وأطهر الناس مروءة من أبلغ النفس فى مصالح حرمه عذرها ووفى من حقوق أخص من ببره كل ما علم ان فيه برها واذا كانت المرأة عورة فان كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها وصلاح حالها فيما أصلح به فى الحياة أمرها واذا كان النساء شقائق الرجال فى باطن أمر البشرية وظاهره وكان الاولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أول وقت الاحتياج الى ذلك وآخره وما جدع الحلال أنف الغيرة الا لمزيل شمم الحمية وتنزل على حكم الله فيما شرع لعباده النفوس الابية ويعلم أن الفضل فى الانقياد لامر الله لا فى اتباع الهوى بعضل الوليه واذا كان بر الوالدة أتم وحقها أعم والنظر فى صلاح حالها أهم تعينت الاجابة الى ما يصلح به حالها ويسكن اليه بالها ويتوفر به آمالها ويعمر به فناؤها

مكاتبة فى [illegible] من تزويج أمه

ذي شفان يدري من سرعان القوم أو ظهر من مكمنهم وهذا هو الموقف الذي قام له مقام النصر
اذ فاته النصر والمقام الذي أصيب فيه من أصحابه آحاد دركهم أدنى العدو وفقد فيه من
أعدائه مع ظهورهم ألوف لا يدركهم الحصر وكذا فليكن قلب الجيش كالقلب يقوى بقوته
الجسد واذا حق اللقاء فلا يفر عن كناسه الا الظبي ولا يحمي عرينه الا الاسد وما بقي الآن
الا ان تعفو الكلوم وتثوب الحلوم وتندمل الجراح وتبرأ من فلول المضارب صدور الصفاح
وتنهض لاقتضاء دين الدين من غرمائه المعتدين وتبادر الى استنجاز وعد الله فان الله يمحص
المؤمنين ويمحق الكافرين والليث اذا جرح كان أشد لثباته وأمد لوثباته والموتور لا يصطلى
بناره والثائر لا يرهب الاقدام على المنون في طلب ثاره والدهر ذو دول والزمان متلون ان
دجت عليكم منه بالقهر ليلة واحدة فقد أشرقت لكم منه بالنصر ليال أول فالمولى
لا يلتفت الى ما فات ويقبل بفكره على تدبير ما هو آت ويعد للحرب عدته ويطيل أمد
الاستظهار ومدته ولا يؤخر فرصة الامكان ولا يعيد ذكر ما مضى فانه دخل في حيز كان ولا
يظن ما جرى عجزا فان العاجز من ظن أنه يصيب ولا يصاب ولا يتخذ غير ظهر حصانه حصنا
فلا حرز امنع من صهوة الجواد ولا سلم أسلم من الركاب وليعلم أن العاقبة للمتقين ويدرع
الصبر ليكون من النصر على ثقة ومن الظفر على يقين فان الله مع الصابرين ومن كان الله
معه كانت يده الطولى واذا لقي عدو الله وعدوه فليصبر لحملته فان الصبر عند الصدمة الاولى
والله تعالى يكلؤه بعينه ويمده بعونه ويجعل الظفر بعدوه موقوفا على مطالبته له بدينه (ومن
ذلك) ما أنشأته في مثله لكنه يتضمن ذم المهزوم وذم جيشه والتقريع لهم والتهكم بهم
ونسبتهم الى الوهن والذلة وهو هذه المكاتبة * الى فلان أقال الله عثرته وأقامه من
حفرة ذلته وتجاوز عن كسرة فراره من جمع عدوه على قلته بلغنا أمر الواقعة التي لقي فيها
العدو بجماع قليل عناؤه ضعيف بناؤه كثيف في رأي العين جمعه خفيف في المعنى وقعه
ونفعه أسرع في مفارقة المجال من الظل في الانتقال وأشبه في مماثلة الوجود بالعدم
من طيف الخيال يمشون اليه بقلب واجب ويهتدون بمن يخرصه برأي بينه وبين الصواب
ألف حاجب ويأتمون منه بمقدم يرى الواحد من عدوه كالف ويتسرعون منه وراء مقدام
يمشي الى الزحف ولكن الى خلف جناح جيشه مهيض وطرف سنانه غضيض وساقة
عسكره طالعة وطلائعه كالنجوم ولكن في حال كونها راجعة تأسف السيوف بيمينه
على ضارب وتأسى الجنائب حوله اذ تعد لهارب وانه حين وقعت العين على
العين وأيقن عدوه لما رأى من عدده وعدده معاجلة الحين أعجل نصول العدى عن
وصولها وترك غنيمة الظفر لعداه بعد أن أشرف على حصولها تناديه ألسنة أسنة الكرم
ولا يلتفت الى ندائها وتشكو اليه سيوفه الظما وقد رأت موارد الوريد فيعيدها الى الغمود
بدائها فغنم عدوه مقاتل رجاله وأباحهم كرائم مال جنده وماله وخلى لهم خزائن سلاحه
التي أعدها لقتالهم فأصبحت معدة لقتاله فنجا منجى الحرث بن هشام وآب بسلامة أعذب
منها لو عقل شرب كاس الحمام واتسم بين أوليائه وأعدائه بسمة الفرار وكان يقال النار

ولا اعتذار يجمع له فراره من الزحف بين النار والعار وقد حصل موفور من الجراح موقر من الاثم والاجتراح لا علم بما جرى عند أسيافهم ولا شاهد بما شاهدتهم الوغى غير مواقع الظبا في أكتافهم فبأي جنان يطمع في معاودة عدوه وهذا قلبه وهؤلاء حزبه وذلك القتال قتاله وتلك الحرب حربه وبعد فان كانت له حمية فستظهر آثارها أو أريحية فستشب نارها أو أنفة فستحمله على غسل هذه الدنية وتبعثه على طلب غايتين اما شهادة مريحة أو حياة هنية والله تعالى يوقظ عزمه من سنته ويحصل له الانتصاف من عدوه بنيل اكمال سنته (ومن ذلك) ما كتبته على لسان المهزوم تجربة للخاطر أيضا تتضمن الاعتذار بصفة الاحتفال بأخذ الثار وهو هذه المكاتبة * الى فلان أتبع الله ما ساءه من أمرنا مع العدو بما يسره وبلغه عنا من الانتصاف والانتصار ما يظهر من صدور الصفاح وألسنة الرماح سره وأراه من عواقب صنعه الجميل بنا ما يتحقق به أن كسوف الشمس لا ينال طلعتها وأن سرار القمر لا يضره نوضح لعلمه أنه ربما اتصل به خبر تلك الوقعة التي صدقنا فيها اللقا وصدمنا العدو صدمة من لا يحب البقا وأريناه حربا لو أعانها التأييد فلت جموعه وأذقناه ضربا لو أن حكم النصر فيه الى النصل أوجده مصارعه وأعدمه رجوعه وحين شرعت رياح النصر تهب وسحاب الدماء من مقاتلهم تسح بل تنصب وكرعت الصفاح في موارد نحورهم وكشفت الرماح خبايا صدورهم ولم يبق الا أن تستكمل سيوفنا الرى من دمائهم وتقف صفوفنا على ربوات اشلائهم وتقبض بالكف من صفحت الصفاح عن دمه وتكف بالقبض يد من ألبسته الجراح حلة عدمه أظهر والجزع في عزائمهم وحكموا الطمع في غنائمهم فحصل لجندنا اعجاب أعجل سيوفنا أن تتم هدم بنائهم وطمع منع فوارسنا أن تكف عن النهب الى أن تصير من ورائهم فاغتنم العدو تلك الغفلة التي ساقها الهلكان العجب والطمع وانتهز فرصة الكرة التي أعانه عليها المطمعان ابداء الهلع وتخلية ما جمع فانتثر من جمعنا بعض ذلك العقد المنظم وانتقض من حزبنا ركن ذلك الصف الذي قد أخذ فيه الزحام بالكظم وثبت الخادم في طائفة من ذوي القوة في يقينهم وأرباب البصائر في دينهم فكسرنا جفون السيوف وحطمنا صدور الرماح في صدور الصفوف وأريناه تلك الالوف كيف تعد الآحاد بالالوف وحلنا بين العدو وبين أصحابنا بضرب يكف اطماعهم ويرد سراعهم ويعمي ويصم من الآثار والاخبار أبصارهم وأسماعهم الى أن نفسنا المهزوم عن خناقه وأيأسنا الطالب من لحاقه ورددناه عنه خائبا بعد أن كادت يده تعلق بأطواقه وأحجم العدو مع ما يرى من قلتنا عن الاقدام علينا ورأى منا حدا كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به الينا وعادوا ولنا في قلوبهم رعب يبيتهم وهم الغالبون ويدركهم وهم الطالبون ويسلبهم رداء الامن وهم السالبون وقد لم الخادم شعث رجاله وضم فرقهم بذخائر ماله وأمدهم بنفقات اصلحت أحوالهم وأطلقت في طلب عدوهم أقوالهم وسلاح جدد استطاعتهم وأغان شجاعتهم وخيول تكاد تسابقهم الى طلب عدوهم وتحضهم على أخذ حظهم من اللقاء كأنما تساهمهم في أجر رواحهم وغدوهم وقد نضوا رداء الاعجاب

عن أكنافهم واعتصموا بعون الله وتأييده لا بقوة جلادهم ولا بعدة أسيافهم وسيجلو العدو ان شاء الله تعالى عن اندمال جراحه ويتجاوزون اليه بسرور ثم سرعة علاجهما في مسائه وتصحيحه كأنهما في سياحة والله تعالى لا يكلنا الى جلدنا ولا ينزع أعنة نصره من يدنا (ومن ذلك) ما اتفق أن بعض نواب السلطنة بالشام جاءه ولد وهو مسافر في الصيد فاقترح أن يكتب على لسان المولود الى والده فقلت في ذلك أول ما كتبه يقبل الارض ابتداء بالخدمة من حين ظهر الى الوجود وشوقا الى امتطاء صهوات الجياد بين يدي سيده قبل المهود وتمنيا أن يكون أول شيء يقع عليه نظره من الدنيا وجه مولانا الذي تعلو بنظره الجدود ويتيمن برؤية بشائر كواكب السعود وينهى انه تكفل الشوق على صغره وكان كمال المسرة به أن يقع نظر مولانا الشريف عليه قبل البشرى بخبره لتلقى عليه أشعة سعادة مولانا في ساعة ظهوره ويكتسي قبل أن تلقى عليه الملابس من اشراق محياه الكريم حلل نوره ويكون أول ما يلج مسامعه صوت مولانا تحدثه على الزيادة في خدمه ويتكثر من يضرب بين يديه في الحرب بسيفه ويقف في السلم أمامه على قدمه فان من يكون نجل مولانا ينطق بالخدمة نجاباته وتدل على النجابة سماته قبل أن تدل عليها شمائله والهلال سيصير في أفقه بدرا منيرا والشبل سيعود كأبيه أسدا هصورا والله تعالى يجيب العبد ببلوغ ما يبلغ به من طاعة مولانا ما يجب عليه ويرزقه عملا صالحا يتقرب به الى ربه والديه بمنه وكرمه ❊ وقد أتيت في هذه الاوراق بأنواع من الكتابة مما يكثر استعماله وهما يقل وهما يحتمل أن يقع أو بعض الكاتب به وأما الانواع الباقية فما جرت به العادة اختيارا وجار على جادة اقتراحه وفي هذا مقنع وأنا أسأل الله تعالى التجاوز عن زلل اللسان وأرغب الى متأمله في الاغضاء عن عثرة القلم وكبوة الخاطر وفترة الذهن فلم يكن القصد الا التمثيل في تلك الانواع وذلك يحصل بالكلام المقبول دون المختار

حمد المنشي منشورات الوجود من العدم وناظم قوافيها كما جرى به القلم في القدم وصلاة وسلاما على من أوتي جوامع الكلام وعلى أصحابه الذين عمل كل منهم بما علم (وبعد) فهذا كتاب يبتهج بطلعته الاديب وتقر به عين مطالعه الاريب اشتمل على فن البديع في غاية البيان مع ما انضم اليه من الرسائل البليغة الحسان التي تشهد لمؤلفها بالسبق في ابراز مخدرات المعاني البهيه وتشييد المباني المتينة العليه وقد تم طبعه على هذا الوجه الجميل بالمطبعة الوهبية ذات الفضل الجليل على ذمة من تحلى بحسن الشمائل التي هي على لطف طبعه دلائل حضرة الخواجه يوسف شيث كان في عونه المولى المغيث مصححا بقدر الامكان بمعرفة مصطفى وهبي المفتقر الى فيض ربه المنان في أواخر ذي الحجة الذي هو ختام سنة ثمان وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من كان كالبري من الامام بري من الخلف صلى الله وسلم عليه وأصحابه المنتمين اليه ما جرى أدهم القلم في ميدان المعارف وحاز قصب السبق من انبرى لبذل العوارف

تم في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨١ ميلاديه

(فهرست حسن التوسل الى صناعة الترسل)

صفحة